تاريخ مصر اليونانية والرومانية

الفرقة الثانية- شعبة التعليم الأساسي

دراسات اجتماعية

إعداد

د/ محمد حمدان إبراهيم

كلية الآداب- قسم التاريخ

٢٠٢١/ ٢٠٢٢م

الكلية: كلية التربية – جامعة جنوب الوادي

الفرقة: الثانية – تعليم أساسي

القسم: دراسات اجتماعية

العام الجامعي: ٢٠٢١/٢٠٢٢م

عدد الصفحات: ١٥٢ صفحة

إعداد: د. محمد حمدان إبراهيم

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٤
الفصل الأول: الإسكندر الأكبر وفتح مصر	٦-١٨
أولًا: حياة الإسكندر ونشأته	
ثانيًا: حملة الإسكندر إلى الشرق	
ثالثًا: فتح الإسكندر لمصر	
رابعًا: بناء مدينة الإسكندرية	
خامسًا: تنظيم الإدارة في مصر	
سادسًا: مواصلة الحملة على الشرق	
سابعًا: وفاة الإسكندر ووراثة العرش	
الفصل الثاني: بطلميوس الأول وتأسيس دولة البطالمة	١٩-٣٥
أولًا: بطلميوس الأول نشأته وحياته	
ثانيًا: توطيد نفوذه في مصر	
ثالثًا: سياسته الخارجية	
رابعًا: سياسته الداخلية	
خامسًا: وراثة العرش	
الفصل الثالث: سياسة البطالمة في عصر القوة والازدهار	٣٦-٥٣
أولًا: بطلميوس الثاني (فيلادلفوس)	
ثانيًا: بطلميوس الثالث (يورجيتيس)	
ثالثًا: بطلميوس الرابع (فيلوباتور)	
الفصل الرابع: سياسة البطالمة في عصر الضعف والانهيار	٥٤-٧٢
أولًا: بطلميوس الخامس	
ثانيًا: بطلميوس السادس	
ثالثًا: بطلميوس الثامن	

رابعًا: بطلميوس التاسع والعاشر

خامسًا: بطلميوس الحادي عشر

سادسًا: بطلميوس الثاني عشر

سابعًا: كليوباترا السابعة

الفصل الخامس: المظاهر الحضارية لمصر في عصر البطالمة ٧٣-٨٣

أولًا: تكوين المجتمع

ثانيًا: النظم الاقتصادية

ثالثًا: الديانة

الفصل السادس: العلاقات المصرية الرومانية قبل أكتيوم ٨٥-٩٩

أولًا: مرحلة توازن القوى

ثانيًا: مرحلة التدخل السياسي

ثالثًا: مرحلة التدخل العسكري

الفصل السابع: مصر ولاية رومانية ١٠٠-١٠٩

أولًا: دخول أوكتافيوس مصر

ثانيًا: موقف أوكتافيوس من السكندريين

ثالثًا: مصر وتسوية ٢٧ق.م

ثالثًا: مصر ولاية رومانية متميزة

الفصل الثامن: النظم الإدارية في مصر خلال العصر الروماني (الوالي) ١١٠-١١٩

أولًا: الوالي

ثانيًا: سلطات الوالي:

١. سلطة الوالي العسكرية

٢. سلطة الوالي القضائية

٣. سلطة الوالي الإدارية

٤. سلطة الوالي الدينية

الفصل التاسع: الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الروماني ١٢٠-١٣٢

أولًا: طبقة الرومان

ثانيًا: طبقة مواطني المدن الإغريقية

ثالثًا: اليهود

رابعًا: طبقة المصريين

الفصل العاشر: النظم المالية والاقتصادية في مصر خلال العصر الروماني ١٣٣-١٤٥

أولًا: النظم المالية:

١. الضرائب

٢. جباية الضرائب

٣. الخدمات الإلزامية

ثانيًا: النظم الاقتصادية:

١. الزراعة

٢. الصناعة

٣. التجارة

قائمة المراجع ١٤٦-١٥٢

مقدمة

يتناول المقرر تاريخ مصر في العصرين اليوناني والروماني، لذا تم تقسيم الكتاب إلى قسمين، القسم الأول يتناول تاريخ مصر في العصر اليوناني، ويبدأ بحملة الإسكندر الأكبر على بلدان الشرق وغزو مصر عام ٣٣٢ق.م، ثم موت الإسكندر وتقسيم إمبراطوريته بين قادة جيشه في مؤتمر بابل. فجاءت مصر من نصيب بطلميوس بن لاجوس، الذي عُرف فيما بعد باسم بطلميوس الأول (سوتير)، والذي عمل على الاستقلال بمصر وتأسيس دولة البطالمة. بعدها جاء الحديث عن سياسة ملوك البطالمة وتم تقسيمها إلى فصلين، الفصل الأول منهما تناول سياسة الملوك البطالمة في عصر القوة والازدهار، والثاني تناول سياستهم في عصر الضعف والانهيار، ذلك العصر الذي انتهى بسقوط مصر في يد الرومان بعد موقعة أكتيوم عام ٣١ق.م. وينتهي القسم الأول من الكتاب بالحديث عن المظاهر الحضارية لمصر في عصر البطالمة.

ويتناول القسم الثاني من الكتاب تاريخ مصر في العصر الروماني، ويبدأ بالعلاقات المصرية الرومانية قبل موقعة أكتيوم، وتطورها من مرحلة الصداقة إلى التدخل السياسي في شئون مصر ثم الانتهاء بالتدخل العسكري والاستيلاء عليها. يأتي بعد ذلك الحديث عن دخول أوكتافيوس إلى مصر، وتحويلها إلى ولاية رومانية ذات وضع مميز أو فريد بين الولايات الرومانية. بعدها تطرق هذا القسم إلى تناول النظم الإدارية في مصر خلال العصر الروماني، خاصة منصب الوالي وسلطاته. ثم جاء الحديث عن طبقات المجتمع، والتمايز بين هذه الطبقات. وبعدها جاء عرض مختصر للنظم المالية والاقتصادية خلال العصر الروماني.

القسم الأول
مصر في العصر اليوناني

الفصل الأول
الإسكندر الأكبر وفتح مصر

أولًا: حياة الإسكندر ونشأته

ثانيًا: حملة الإسكندر إلى الشرق

ثالثًا: فتح الإسكندر لمصر

رابعًا: بناء مدينة الإسكندرية

خامسًا: تنظيم الإدارة في مصر

سادسًا: مواصلة الحملة على الشرق

سابعًا: وفاة الإسكندر ووراثة العرش

أهداف الفصل الأول

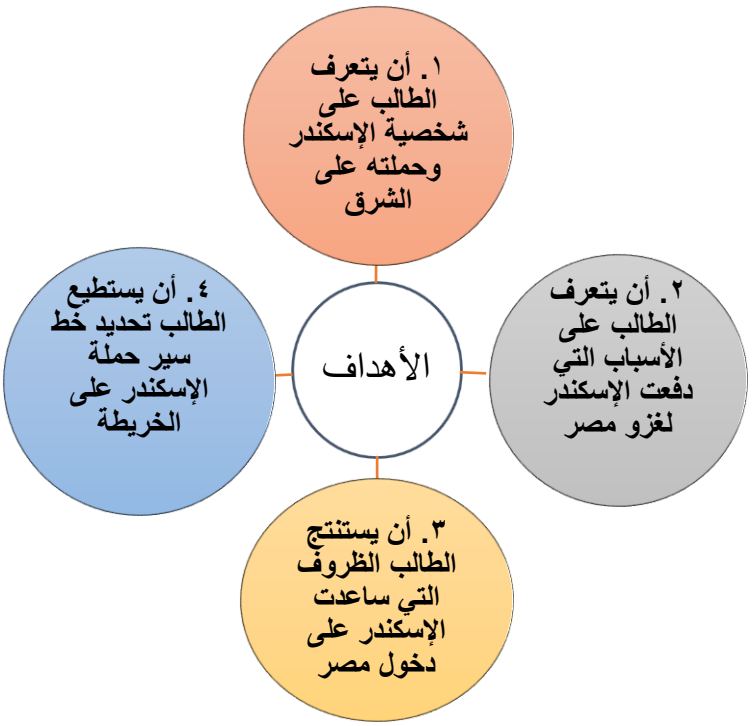

أولًا: حياة الإسكندر ونشأته

اعتلى الإسكندر الثالث، الذي عُرف فيما بعد بالإسكندر الأكبر عرش مقدونيا وهو في العشرين من عمره. وكان قد أظهر منذ صباه نبوغًا يدل على أنه سيصبح حاكمًا قديرًا. وتلقى العلم على يد الفيلسوف اليوناني المشهور أرسطو، وظل شديد العرفان له، وأشاد به قائلًا "إن أبي هو الذي وهبني الحياة، لكن أرسطو هو الذي علمني كيف أحيا". وقد أظهر الإسكندر منذ صباه شجاعة وثقة كبيرة في النفس، وكان على ثقة من أنه سيرتقي عرش مقدونيا. ويروى عنه أنه عندما كان في عامه الثاني عشر وافته الأنباء أن والده انتصر في معركة كبيرة، فغضب قائلًا "إذا ظل أبي يكسب مزيدًا من المعارك، فلن يتبقى لي بلاد أفتحها. وعندما بلغ السابعة عشر، قرر فيليب أن الوقت قد حان لتدريب الإسكندر على الحكم، فأسند إليه مهمة تصريف الأمور في مقدونيا، عندما اضطر إلى التوجه إلى بلاد اليونان، وفي تلك الأثناء انتهزت إحدى القبائل الفرصة، وأعلنت التمرد مستغلة صغر سن الإسكندر؛ إلا أنه قمع التمرد بعنف واستولى على أكبر المدن التي تقع في أرض هذه القبيلة، وأطلق عليها اسم مدينة الإسكندر (Alexandropolis)[١].

وفي سن الثامنة عشر شارك مع والده في معركة خايرونيا عام ٣٣٨ق.م، وعندما اعتلى عرش مقدونيا كان في العشرين من عمره بعد اغتيال أبيه عام ٣٣٦ق.م. ويعد الإسكندر هو ثالث من يحمل اسم الإسكندر من أسرة ايجيوس، لذلك لُقب بالإسكندر الثالث، ويلقب عادة بالإسكندر ذي القرنين[٢]. كانت العلاقة بين الإسكندر ووالده متوترة قبل موته بسبب زواج فيليب من زوجة أخرى غير والدة الإسكندر وإنجابه منها؛ لذلك عند اغتيال

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ١٨.

[٢] فادية محمد أبوبكر، دراسات في العصر الهللينستي، (الإسكندرية، ١٩٩٨م)، ٦٤.

فيلب أشارت أصابع الاتهام إلى الإسكندر ووالدته، وهو اتهام لم تثبت صحته. وعندما أصبح الإسكندر ملكًا كان أول عمل أقدمت عليه والدته، هو قتل زوجة فيليب الثانية وابنها[١].

ابتهجت المدن الإغريقية عندما علمت بموت فيليب، وهبت ثائرة رغبة في التخلص من نير مقدونيا، وكان الإغريق يعتقدون أن الإسكندر شابًا صغيرًا لا تتوفر لديه قوة فيليب أو خبرته. وتزعمت مدينة طيبة ثورة المدن الإغريقية ضد مقدونيا، فسار إليها الإسكندر واستولى عليها، وأمر بتسوية المدينة بالأرض، وبيع ثلاثين ألفًا من أهلها في أسواق العبيد، إضافة إلى قتل ستة آلاف آخرين منهم. وقد أراد الإسكندر أن يجعل طيبة عبرة لغيرها من المدن الإغريقية، ويبدو أنهم قد استوعبوا الدرس جيدًا، فلم يسببوا متاعب تذكر للإسكندر بعد ذلك[٢].

شكل (١) الإسكندر الأكبر

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٩.

[٢] نفسه، ٢١، للمزيد عن الإسكندر وحياته راجع: و. و. تاون، الإسكندر الأكبر قصته وتاريخه، ترجمة: زكي علي، (القاهرة ١٩٦٣م).

ثانيًا: حملة الإسكندر إلى الشرق

في ربيع عام ٣٣٤ق.م عبر الإسكندر مضيق الهلليسبونت بجيش مؤلف مما يزيد على ثلاثين ألف من الفرسان وأسطول بحري يتكون من مائة وستين سفينة حربية. وبعد العديد من المعارك الفرعية استطاع الإسكندر في عام ٣٣٣ق.م هزيمة الإمبراطور الفارسي داريوس الثالث في موقعة إسوس. وعرض عليه داريوس أن يتنازل له عن كل آسيا غرب الفرات، بالإضافة إلى عشرة آلاف تالينت كغرامة حربية، مقابل الصلح؛ لكن الإسكندر رفض وطلب التسليم بلا شرط. وبعد موقعة إسوس أعلنت المدن الفينيقية الولاء للإسكندر ما عدا مدينة صور التي لم يستطع الإسكندر اخضاعها إلا بعد أن حاصرها حصارًا قاسيًا استمر حوالي سبعة أشهر[١].

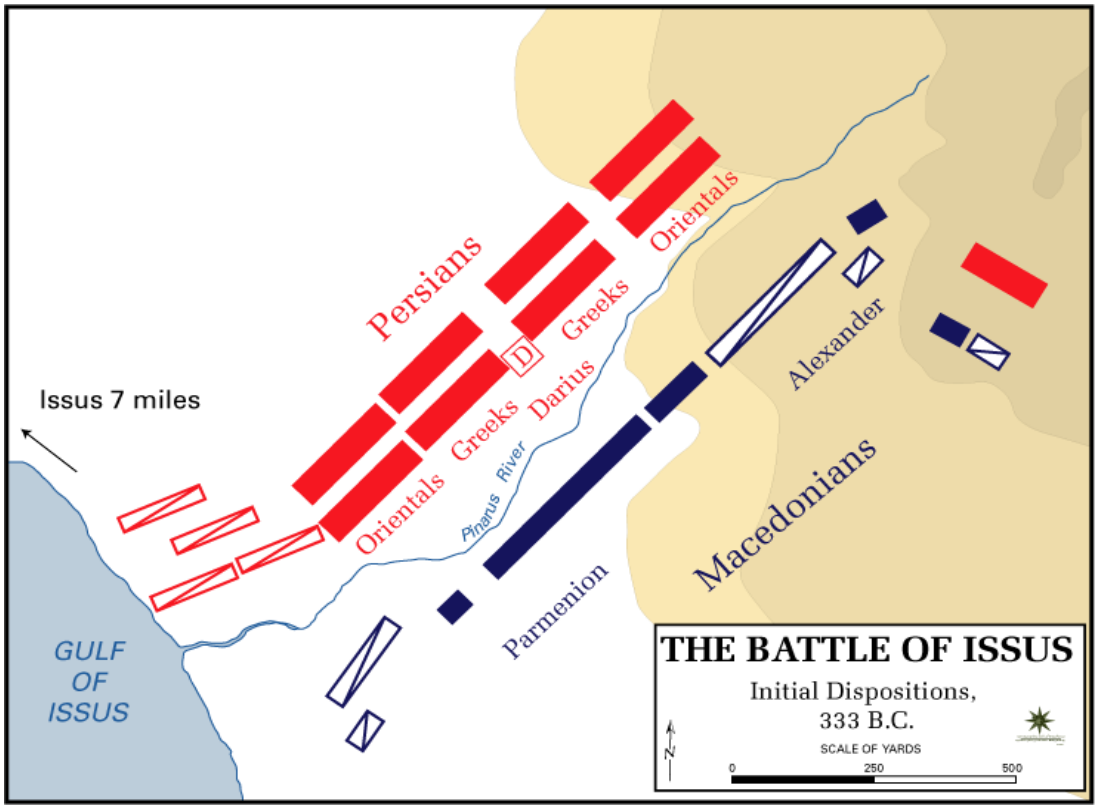

خريطة (١) توضح معركة إسوس بين القوات المقدونية والقوات الفارسية[٢]

---

[١] حسين الشيخ، العصر الهللينستي: مصر، (الإسكندرية، ١٩٩٣م)، ٢١ –٢٢.

[٢] https://www.worldhistory.org/Battle_of_Issus/

ثالثًا: فتح الإسكندر لمصر

بعد أن نجح الإسكندر في الاستيلاء على صور توجه نحو مصر وبلغ بيلوزيوم (الفرما) في خريف عام ٣٣٢ق.م، ومنها اتجه جنوبًا على امتداد الفرع البيلوزي للنيل حتى وصل إلى ممفيس (منف)، وهناك سلمه مازاكيس الوالي الفارسي على مصر البلاد دون مقاومة. ولا بد أن الإسكندر شعر حينئذ أن آماله قد بدأت تتحقق فعلًا، وأن مرحلة الخطر والمعرك الكبرى قد انتهت، فهذه مصر أكبر وأغنى قطر في الدولة الفارسية قد دانت له واستقبله أهالها بالود والترحاب، استقبال البطل المنقذ. وكان الإسكندر سياسيًا ماهرًا بقدر ما كان قائدًا نابغة يحسن معاملة الناس وكسب ودهم، فلا أقل من أن يبادل المصريين ودًا بود، فزار معبد الإله بتاح وقدم القرابين للآلهة، ويُقال إن الإسكندر نُصب فرعونًا حسب التقاليد الدينية المصرية. بعد ذلك أقام مهرجانًا موسيقيًا رياضيًا حسب التقاليد اليونانية، اشترك فيه عدد من أشهر الفنانين والممثلين الإغريق[١].

ومن منف اتخذ الإسكندر طريقه في الفرع الغربي للنيل قاصدًا بلدة كانوب (أبو قير)، حيث شيد فوق شريط من الأرض الرملية، يقع بين بحيرة مريوط والبحر مدينة إغريقية تحمل اسمه، هي مدينة الإسكندرية. ومنها مضى إلى واحة سيوة ليستلهم وحي الإله آمون، الذي كان الإغريق يشبهونه بإلههم زيوس. أما لماذا فعل ذلك، وما هي الأسئلة التي وجهها للإله آمون، وما هي الإجابات التي تلقاها؟ هذه أسئلة اختلف فيها المؤرخون، لأن الإسكندر احتفظ بسرها لنفسه، وكتب إلى أمه يقول إنه لن يبوح بهذا السر إلا لها عقب عودته؛ لكنه توفي ولم يعد إلى مقدونيا فدفن معه سره[٢].

---

[١] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، (القاهرة، ١٩٩٩م)، ١٩.

[٢] هـ. آيدرس بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: دراسة في انتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها، ترجمة: عبداللطيف أحمد علي، (بيروت، ١٩٧٣م)، ٣٩- ٤٠.

لكن ربما كان الإسكندر يستهدف من الزيارة استشارة الإله آمون في بعض الأمور كالاستفسار عن مصير الحملة ضد الفرس، واغتيال أبيه، أو الحصول من الإله على شيء يرضي به نزعته الخيالية كتصريح بأنه ابنه مثلًا مما يدعم به سلطانه في مصر. ومع هذا فنحن على يقين من أمر واحد، وهو أن كاهن آمون حيا الإسكندر كابن للإله آمون، وتلك كانت عند المصريين تحية تؤدى لكل ملك على مصر. وقد أصبح الإسكندر ملكًا على مصر، لذا فهو خليق بهذه التحية، وخليق بالتالي بلقب فرعون. وتصور الإسكندر منذ ذلك الحين بأنه مرتبط بآمون برابطة خاصة، وأن هذا الإله قد اصطفاه على غيره من البشر. كما تصور أن حملته على الشرق ما هي إلا رسالة إلهية[١].

رابعًا: بناء مدينة الإسكندرية

بعد أن فرغ الاسكندر من احتفاله في منف، أبحر شمالًا في الفرع الكانوبي لنهر النيل (فرع رشيد) حتى مصب هذا الفرع عند بلدة كانوب (أبو قير الحالية). وفي أثناء سير الإسكندر بمحاذاة شاطئ البحر المتوسط لفت انتباهه موقع قرية صغيرة يسكنها الصيادون المصريون تدعى راقودة، وتقع قبالها في البحر جزيرة صغيرة تسمى فاروس، فقرر إقامة مدينة في هذا الموقع، ويأتي ذلك في إطار رغبته في تخليد اسمه. وعهد إلى مهندس يدعى دينوقراطيس –من مدينة ميليتوس– بأن يقوم بتخطيط المدينة، وتم إقامة جسر يصل بين اليابسة وجزيرة فاروس، وقد حملت المدينة الجديدة اسم الإسكندرية[٢]. والتاريخ التقليدي لتأسيس المدينة هو السابع من أبريل عام ٣٣١ق.م[٣].

---

[١] فادية محمد أبوبكر، دراسات في العصر الهللينستي، ٧١.

[٢] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢٧–٢٨.

[٣] آلان ك. بومان، مصر ما بعد الفراعنة: من الإسكندر إلى الفتح العربي، ترجمة: السيد جاد، السيد رشدي، رضا رسلان، (الإسكندرية، ٢٠١٣م)، ٣٥٣.

خريطة (٢) توضح موقع مدينة الإسكندرية القديمة[١]

وتُعد مدينة الإسكندرية أعظم وأخلد أعمال الإسكندر الأكبر في مصر، بل أمر أن تُتخذ عاصمة لمصر، بدلًا من العاصمة القديمة منف. وتروي المصادر القديمة أنه لم تتوفر كمية وافية من الجير لتحديد موقع أسوار المدينة الجديدة، فاستعانوا بالدقيق الذي كان مخصصًا لمؤنة الجنود لإتمام التخطيط، مما اعتبر فألًا سعيدًا يبشر بما ستصيبه المدينة من الرخاء والرفاهية. وقام الإسكندر بتحديد النقاط الرئيسة للمدينة فبين مكان إنشاء السوق، وعدد المعابد لكل من الآلهة اليونانية وكذلك للإلهة إيزيس المصرية، وهو بذلك يضمن رضاء كل من الإغريق والمصريين، كما أنه قام بتحديد الحدود الدقيقة لخطوط الدفاع الخارجية للمدينة[٢]. وسادت الإسكندرية شرق البحر المتوسط سياسيًا وثقافيًا واقتصاديًا[٣].

---

[١] نقلًا عن: مجدي تراب، خريطة جيومورفولوجية قديمة لساحل منطقة الإسكندرية باستخدام دلائل الآثار الغارقة، المجلة المصرية للتغير البيئي، مج٧، ع٢، (٢٠١٥م).

[٢] فادية محمد أبوبكر، دراسات في العصر الهللينستي، ٧٦.

[٣] آلان ك. بومان، مصر ما بعد الفراعنة، ٣٥٢، وللمزيد عن مدينة الإسكندرية راجع: على بشير مصباح الهدار، مدينة الإسكندرية في عهد الإسكندر الأكبر وخلفائه وعلاقتها بكوريني الليبية، رسالة ماجستير – غير منشورة (جامعة المرقب، ٢٠٠٨م).

خامسًا: تنظيم الإدارة في مصر

قبل أن يبرح الإسكندر مصر، قام بتنظيم البلاد تنظيمًا دقيقًا، ولما كان المصريون قد رحبوا به باعتباره محرر بلادهم، وكان الكهنة المصريين قد أولوه تأييدهم فمنحوه لقب ابن آمون، فإن الإسكندر لم ير داعيًا لاتخاذ تدابير خاصة لتأمين سلطانه ضد المصريين، في نظام الإدارة الذي وضعه لهم، بل كان كل همه منحصرًا في منع كل أولئك الذين عهد إليهم بمقاليد الحكم من الشطط في حكمهم، أو من الفتنة ضده. وتبعًا لذلك فأن الإسكندر منح مصر استقلالًا داخليًا، وقسمها إلى قسمين هما: الوجه البحري والوجه القبلي وجعل على كل قسم منهما حاكمًا من أبناء البلاد، أحدهما يدعى بتيسيس والآخر يدعى دولواسبيس، وانفرد الأخير بالحكم بعد اعتزال الأول. كما أنشأ مقاطعتين جديدتين هما: العربية على الحدود الشرقية، والليبية على الحدود الغربية، وعين على الأولى كليومينيس النقراطيسي، وعين على الثانية أبوللونيوس بن خارينوس، وهما من الإغريق. كما جعل الإدارة المالية في مصر في قبضة كليومينيس النقراطيسي[١].

وتمتاز هذه النظم التي وضعها الإسكندر لمصر بظاهرتين: إحداهما هي تقسيم السلطة بين عدد من الأفراد، لتفادي خطر استبداد فرد واحد بها، مما كان يتعارض مع صالح الإمبراطورية، ولا سيما في بلد مثل مصر، إذ أن مركزها الطبيعي كان يجعلها من المناعة والقوة إلى حد يسهل معه على شخص قوي أن يحميها من الغارات الخارجية. والظاهرة الثانية هي روح العطف التي أبداها الإسكندر نحو المصريين، فإنه فعل ما لم يفعله البطالمة فيما بعد حتى أواخر أيام دولتهم، إذ أن الإسكندر اختار من بين المصريين حاكمي الوجه البحري والوجه القبلي[٢].

---

[١] إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، جـ١، ط٤، (القاهرة، ١٩٧٦م)، ٣٤.
[٢] نفسه، ٣٥.

سادسًا: مواصلة الحملة على الشرق

بعد أن نظم الإسكندر الإدارة في مصر غادرها في عام ٣٣١ق.م متجهًا إلى مدينة صور، تمهيدًا للزحف إلى قلب الإمبراطورية الفارسية، ولم يعد أمام الملك الفارسي بعد أن رفض الإسكندر الصلح معه سوى أن يستعد للمواجهة العسكرية. وقد التقى جيش الإسكندر مع الجيش الفارسي في عام ٣٣١ق.م عند جاوجميلا (بالقرب من أربيل عند الموصل الحالية)، وفي هذه المعركة أحرز الإسكندر نصرًا باهرًا على الملك داريوس الثالث، الذي ولى الأدبار صوب الشرق. أدرك الإسكندر أن هذا النصر ليس كافيًا لإعلان سقوط الإمبراطورية الفارسية، ما دام داريوس الثالث على قيد الحياة، فقرر أن يتتبعه لإلقاء القبض عليه، إلا أن رجال داريوس تخلوا عنه وطعنه أحدهم تاركين إياه وحيدًا يعاني آلام الموت، وعثر عليه جنود الإسكندر وهو يحتضر في عربته الملكية. وعندما وصل الإسكندر إلى الموقع كان الإمبراطور الفارسي قد فارق الحياة، فحرص على احترامه لعدوه حتى اللحظات الأخيرة، وأمر بدفنه بطريقة تليق بالملوك، كما أمر بإلقاء القبض على القتلة لمعاقبتهم[١].

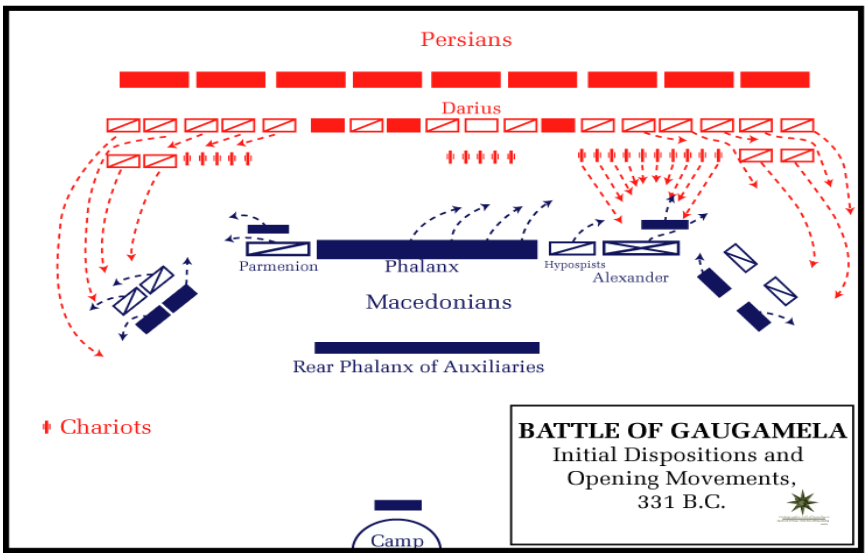

شكل (٢) يوضح معركة جاوجميلا بين جيش الإسكندر والجيش الفارسي عام ٣٣١ق.م[٢]

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢٩-٣٠.

[٢] https://www.pinterest.com/pin/572520171361473502/

هكذا سقطت الإمبراطورية الفارسية ودخل الإسكندر مدن الفرس العظيمة مثل سوسا، وبرسبوليس التي أمر بإضرام النار فيها، ثم واصل الإسكندر تقدمه في الإمبراطورية الفارسية، التي كانت حدودها تمتد إلى الهند شرقًا، وفي إقليم باكتريا (أفغانستان الحالية) تزوج من روكسانا ابنة حاكم هذا الإقليم، ثم واصل سيره حتى وصل إلى إقليم البنجاب ووادي نهر السند، وعند هذا الحد أدركت جنوده حالة من الملل والإعياء، فرفضوا الاستمرار في الغزو وطالبوا من الإسكندر العودة إلى بلادهم، فاضطر إلى الإذعان لهم، والعودة إلى مدينة بابل التي كان يخطط لجعلها عاصمة لإمبراطوريته. وصار الإسكندر وهو في سن السادسة والعشرين سيدًا على العالم[١].

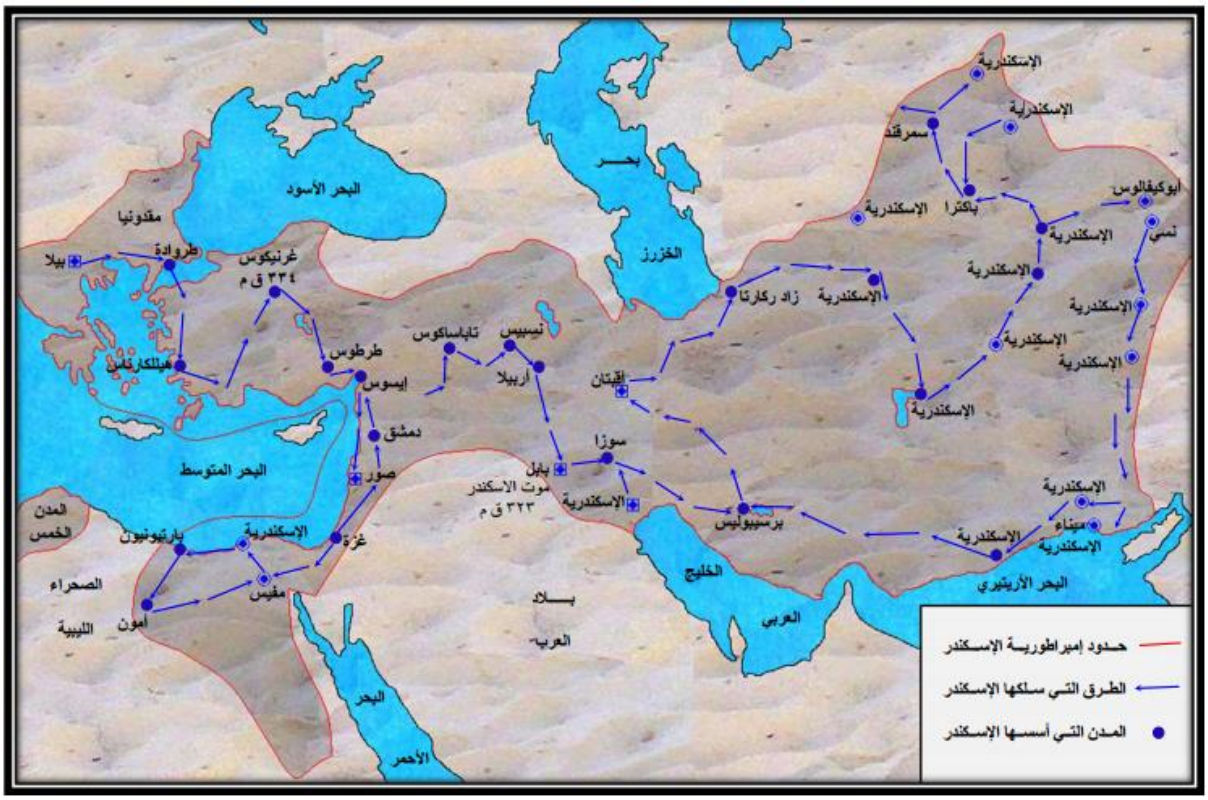

خريطة (٣) توضح فتوحات الإسكندر والطرق التي سلكها[٢]

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٣٠-٣١.

[٢] على بشير مصباح الهدار، مدينة الإسكندرية في عهد الإسكندر الأكبر وخلفائه وعلاقتها بكوريني الليبية، ٢٣٧.

سابعًا: وفاة الإسكندر ووراثة العرش

وفي شهر يونيه عام ٣٢٣ق.م، وأثناء الاستعداد لإرسال حملته الكبرى لبلاد العرب أصيب الإسكندر بالحمى، وفي اليوم العاشر من الشهر نفسه توفي، ولم يكن قد بلغ الثالثة والثلاثين من عمره[١]. كانت وفاة الإسكندر مفاجأة للجميع ونشأ عن وفاته موقف معقد فقد كانت إمبراطوريته لا تزال في طور التكوين الإداري بمعنى أنها لم تعرف نظامًا محددًا تسير عليه، لأن الإسكندر كان مشغولًا دائمًا بحملاته العسكرية، لذا لم يتح له الوقت الفرصة لوضع نظام دائم تسير عليه إمبراطوريته، وبالتالي كانت كل تنظيماته الإدارية وقتية. بالإضافة إلى إنه لم ينظم طريقة وراثة العرش من بعده، خاصة أنه مات ولم يترك وريثًا شرعيًا له من صلبه[٢].

وقد ترك الإسكندر عند موته إمبراطورية تمتد غربًا من مقدونيا في قارة أوروبا حتى منطقة البنجاب الهندية في قارة آسيا في الشرق، وكانت تضم أغلب المدن اليونانية الواقعة في شبه جزيرة البلقان ومنطقة آسيا الصغرى –باستثناء أرمينيا– والمنطقة الواقعة شمال شبه جزيرة العرب –الساحل الفينيقي، وبلاد النهرين، وفارس– وكانت مصر تمثل امتداد الإمبراطورية جنوبًا. وأصبح مصير هذه الإمبراطورية في يد قادة الإسكندر، الذين عقدوا مؤتمرًا في بابل غداة وفاته لاختيار خليفة له. وكان لكل منهم أطماعه التي يسعى لتحقيقها على حساب الآخرين. ومضت فكرة الإسكندر عن وحدة العالم وامتزاج الحضارات لتحقيق السلام العالمي في طريق، وأفكار القادة المجتمعين في طريق آخر[٣].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٣٣–٣٤.

[٢] حسين الشيخ، العصر الهللينستي، ٢٦–٢٧.

[٣] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، (الإسكندرية، ٢٠١١م)، ٣٣.

وبعد خلاف بين القادة حول مشكلة الوراثة اتفق جميع القادة على أن يتولى العرش ملكان هما: أرهيدايوس الذي لقب بفيليب الثالث، وهو ابن غير شرعي لفيليب، وأخ غير شقيق للإسكندر، وكان معروفًا بالبلاهة وضعف العقل وعدم القدرة على الحكم بنفسه. والثاني هو المولود المنتظر للإسكندر من روكسانا زوجته الفارسية إذا كان المولود ذكرًا، حيث كان الإسكندر قد ترك زوجته حاملًا في الشهر السادس، وجاء المولود ولدًا وسمي بالإسكندر الرابع. بعد ذلك منحت القيادة العليا للجيش في آسيا للقائد برديكاس أحد القادة المقربين للإسكندر والذي منحه الإسكندر خاتم الملك حين حضرته الوفاة، واستطاع برديكاس أن يجعل من نفسه وصيًا عامًا على الملكين. ومُنحت القيادة في اليونان لأنتيباتروس أكثر قواد الإسكندر مكانة وشعبية بين الجنود. أما باقي أجزاء الإمبراطورية فقد وزعت بين القادة الآخرين واستمر العمل بالنظام الفارسي فكل ولاية سميت "ساتربية" وحاكمها "ساترابًا"، ولكن يهمنا من هؤلاء القادة أربعة فقط هم: أنتيجونس الذي منح فريجيا الكبرى وبامفيليا وليكيا في آسيا الصغرى. وليسيماخوس مُنح تراقيا، وسليوقس الذي عهدت إليه القيادة العليا في الجيش كمساعد لبرديكاس. أما مصر فقد مُنحت لبطلميوس بن لاجوس، على أن يصبح كليومينيس المشرف على ماليتها مساعدًا له[١].

ومنذ اللحظة الأولى التي تولى فيها بطلميوس بن لاجوس حكم مصر –الذي عرف فيما بعد باسم بطلميوس الأول– أخذ يعمل بصفة مستقلة منفصلة كمؤسس لدولة جديدة مستقلة عن باقي الإمبراطورية. وقدر لهذه الدولة أن تبقى نحو ثلاثة قرون، وهي من أطول الدول التي تخلفت عن إمبراطورية الإسكندر بقاءً[٢].

---

[١] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٣٠.

[٢] حسين الشيخ، العصر الهللينستي، ٢٧– ٢٨.

الفصل الثاني
بطلميوس الأول وتأسيس دولة البطالمة

أولًا: بطلميوس الأول نشأته وحياته

ثانيًا: توطيد نفوذه في مصر

ثالثًا: سياسته الخارجية

رابعًا: سياسته الداخلية

خامسًا: وراثة العرش

أهداف الفصل الثاني

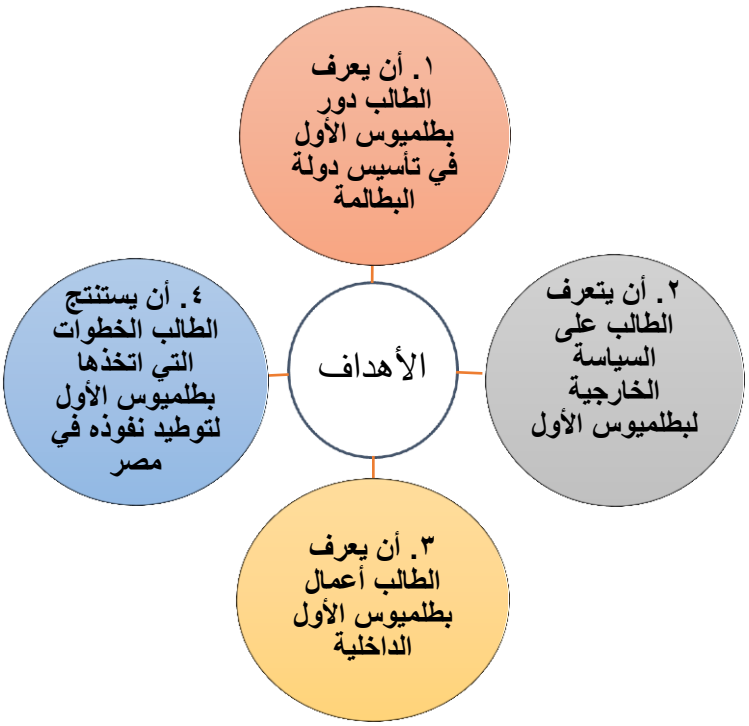

أولًا: بطلميوس الأول (٣٢٣ -٢٨٤ق.م) نشأته

ولد بطلميوس الأول عام ٣٦٧ق.م لأسرة تنتمي إلى طبقة النبلاء في مقدونيا، يدعى أبوه باسم لاجوس وأمه أرسينوي. تربى بطلميوس في القصر الملكي مع الإسكندر، ثم أصبح فيما بعد أحد أفراد الحرس الخاص للإسكندر وأحد القواد المقربين له، وصاحبه في حملته على الشرق. وأظهر بطلميوس في الحروب التي خاضها قدراته العسكرية الفائقة، وربما كانت السبب الذي من أجله منحه أهل جزيرة رودوس لقب "سوتير" بمعنى "المنقذ"، وذلك بعد أن خلصهم من حصار ديمتريوس عام ٣٠٤ق.م. تزوج بطلميوس أكثر من مرة، ومن هذه الزيجات زواجه من يوريديكي ابنة أنتيباتروس، وتزوج من برينيكي الأولى التي انجبت له ابنه بطلميوس الثاني الذي سيتولى الحكم من بعده[١].

شكل (٣) تمثال نصفي لبطلميوس الأول (٣٢٣ -٢٨٤ق.م) على الطراز المصري[٢]

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٤٢.

[٢] https://thedeskofmichael.wordpress.com/2017/02/17/pharaoh-triumphant/

ثانيًا: توطيد نفوذه في مصر

كان بطلميوس يطمح إلى الحصول على ولاية مصر، وهذا ما يبدو من خلال التفاصيل التي أوردها عن هذا البلد في مذكراته، فقد أدرك بفطنته أن مصر سوف تكون بمنأى عن الصراعات التي ستدور بين قادة جيش الإسكندر، كما أنها تتمتع بخيرات تمكنه من إقامة دولة وطيدة الأركان[١]. لذلك عندما وصل بطلميوس إلى مصر اتخذ مجموعة من الخطوات لتوطيد حكمه فيها والاستقلال بها عن إمبراطورية الإسكندر، وهذه الخطوات هي:

١. التخلص من كليومينيس

وصل بطلميوس إلى مصر بعد خمسة شهور من وفاة الإسكندر، فوجد كليومينيس النقراطيسي الذي عينه الإسكندر مشرفًا على الشئون المالية قد انفرد بالسلطة على البلاد، مما أثار حفيظة بطلميوس، لأنه يعرف بأمر الصداقة التي تربط بين برديكاس الوصي على العرش وبين هذا الرجل، فأخذ يتحين الفرصة للتخلص منه. وقد واتته تلك الفرصة عندما راح يتلقى شكاوى من الأهالي من الإجراءات المالية، التي طبقها كليومينيس، فامر بإعدامه ومصادرة ممتلكاته.

٢. دفن جثمان الإسكندر في مصر

اتفق برديكاس في مؤتمر بابل على دفن جثمان الإسكندر في مقدونيا موطنه الأصلي. لكن بينما كان الجثمان في طريقه إليها قابله بطلميوس في سوريا واستولى على التابوت، ونقله إلى منف ثم نقله بعد ذلك الإسكندرية. هذا التصرف من جانب بطلميوس كان يعني به أمرين أولهما: أنه يستطيع أن يخالف أوامر برديكاس، وثانيهما: أنه استطاع أن يعطي ولايته أهمية وشهرة بقيامه بدفن الإسكندر فيها[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٤١.
[٢] فادية محمد أبوبكر، دراسات في العصر الهللينستي، ١١٤-١١٥.

٣. إقامة عبادة رسمية للإسكندر

أمر بطلميوس الأول بتقديس الإسكندر الأكبر رسميًا، وعين له كاهنًا خاصًا تؤرخ باسمه الوثائق الرسمية، وأصبحت عبادة الإسكندر عبادة رسمية في عصر البطالمة. وكانت مسألة تقديس الملك وعبادته بعد موته من العادات اليونانية القديمة، وكانت عادة تمارس من قبل الأشخاص العاديين لإضفاء نوع من القداسة على أرواح الرجال العظماء بعد موتهم[١]. وتمت عبادة الإسكندر تحت اسم "الإسكندر آمون"، وكان مقر هذه العبادة في أول الأمر في المعبد الجنائزي الذي دفن فيه الإسكندر في منف، قبل الانتهاء من بناء ضريح "السوما" في الإسكندرية ونقله إليه[٢].

٤. الاستيلاء على قوريني (برقة)

بعد ذلك سنحت الفرصة لبطلميوس الأول لضم برقة إلى سلطانه حين قام في مدينة قورينى صراع بين الأحزاب المختلفة، ولجأ بعضهم إلى بطلميوس فانتهز الفرصة وأخضعهم جميعًا في نهاية ٣٢٢ق.م. هذا الانتصار السريع أكسب اسمه فجأة شهرة وأهمية، وأشعره بإمكان انتهاجه سياسة مستقلة، فسار خطوة أخرى في سبيل تثبيت مركزه في مصر، كانت بمثابة إلغاء تبعيته لبرديكاس[٣].

٥. التخلص من برديكاس

تأكدت شكوك برديكاس تجاه بطلميوس بأنه يحاول الاستقلال بمصر عن الإمبراطورية المقدونية، وذلك بعد قيامه بالحصول على جثمان الإسكندر، وتخلصه من

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٤٨– ٤٩.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، (القاهرة، ١٩٩٢م)، ١١٨ – ١١٩.

[٣] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٣٣.

كليومينيس، ثم ضمه لقوريني في عام ٣٢٢ق.م، لذا قرر برديكاس أن يضع حدًا لطموح هذا الوالي. وفي ربيع عام ٣٢١ق.م سار على رأس قواته قاصدًا مصر لجعل بطلميوس عبرة لغيره؛ إلا أنه فشل في عبور الفرع البيلوزي لنهر النيل، وكان مكروهًا من جنوده فثاروا عليه وقتلوه بقيادة سليوقس. وبعد مقتل برديكاس اجتمع القادة المقدونيين في تريبارادیسوس شمال سوريا لإعادة توزيع الإمبراطورية المقدونية. واتفق القادة على تعيين أنتيباتروس وصيًا على العرش خلفًا لبرديكاس، على أن يتخذ من مقدونيا مقرًا له، واستمر أنتيجونس واليًا على فريجيا في آسيا الصغرى، وكذلك الحال بالنسبة لليسيماخوس الذي استمر في منصبه واليًا على تراقيا، كما تم الاعتراف بمكانة بطلميوس في مصر وقوريني (برقة)، أما سليوقس وهو القائد الذي أقدم على قتل برديكاس فقد منح ولاية بابل[١].

٦. الحصول على لقب ملك "باسيليوس"

في عام ٣٠٦ق.م أعلن أنتيجونس تغيير لقبه ليصبح ملكًا "باسيليوس"، وردًا على هذا أعلن بطلميوس نفسه ملكًا في العام نفسه[٢]. بينما تذكر الوثائق الديموطيقية أن بطلميوس أعلن نفسه ملكًا في خريف عام ٣٠٥ق.م، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الوثائق تؤرخ بحكم بطلميوس، أما قبل ذلك فكانت تؤرخ باسم الإسكندر الرابع ابن الإسكندر الأكبر، ولم يعد بطلميوس يوصف باسم الساتراب أو الوالي ولكن باسم الملك. وظهر ذلك على النقود التي سكها. أما بالنسبة للمصرين فقد بايعه الكهنة فرعونًا، وكتب اسمه في الخرطوش الملكي بالهيروغليفية[٣].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٤٢– ٤٣.

[٢] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٣٩، أيضًا راجع:
J. McKenzie, *The Architecture of Alexandria and Egypt, C. 300 B.C. to A.D. 700*, (New Haven, 2007), 40.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٢٥.

شكل (٤) عملة تعود لعهد بطلميوس الأول (سوتير)[١]

ثالثًا: السياسة الخارجية لبطلميوس الأول

عمل بطلميوس الأول منذ أن تولى حكم مصر على تأمين حدودها الغربية والشرقية والشمالية، فاستولى على قوريني في الغرب، وعلى جوف سوريا في الشرق، كما استولى على قبرص وجزر بحر إيجه لتأمين حدود مصر الشمالية، وهو ما يمكن عرضه كالتالي:

١. الاستيلاء على قوريني عام ٣٢٢ق.م

استغل بطلميوس الأول الصراع الحزبي الدائر في قوريني للاستيلاء عليها، لتأمين حدود مصر الغربية، ولم يكن ما أقدم عليه بطلميوس من ضم قوريني لمصر فيه أي اعتداء على قرارات مؤتمر بابل، فقد كان إسناد حكم مصر له يتضمن حكم قوريني، بوصفها ضمن حدود مصر الطبيعية، وكل ما فعله بطلميوس هو أنه أظهر عزمه على المحافظة على حقوقه كاملة ودعم حدود ولايته الطبيعية[٢].

---

[١] https://www.cngcoins.com/Coin.aspx?CoinID=162373 see also: http://www.wildwinds.com/coins/greece/egypt/ptolemy_I/

[٢] إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، جـ١، ٦١-٦٢، وللمزيد عن قوريني راجع: إبراهيم نصحي، إنشاء قوريني وشقيقاتها، (بيروت، ١٩٧٠م).

٢. الاستيلاء على جوف سوريا ٣١٩/ ٣١٨ق.م

كان بطلميوس مصرًا منذ أن تولى حكم مصر على استعادة نفوذ مصر في الشام خاصة في جوف سوريا –كان جوف سوريا إقليمًا يشمل فلسطين وجنوب سوريا، وذلك لتأمين حدود مصر الشرقية، وأيضًا لأسباب اقتصادية فقد كانت تجارة الشرق الأقصى التي تُحمل من الهند إلى الخليج تنقل برًا عبر الطريق الرأسي الذي أقامه داريوس، والذي كان يخترق صحراء الشام حتى سواحل البحر المتوسط. وبالتالي أدرك بطلميوس أنه يستطيع أن يتحكم في اقتصاد الشرق الأدنى كله، بل وفي اقتصاد عالم البحر المتوسط إذا ما وضع يده على جنوب سوريا. بالإضافة إلى أن حاجة مصر الماسة إلى الأخشاب لصنع الأساطيل الحديثة، كانت تقتضي السيطرة على هذا الجزء من سوريا، حيث تكثر أشجار الأرز الصالحة لبناء السفن الكبيرة العابرة للبحار، والتي كانت أخشابها تقاوم ملوحة البحر[١].

وتمكن بطلميوس في عام ٣١٩–٣١٨ق.م من الاستيلاء على منطقة جوف سوريا، وقد حاول في بداية الأمر أن يشتري جوف سوريا من واليه لاوميدون، ولما لم يوافق لاوميدون على هذا استولى عليه بطلميوس عنوة، منتهزًا ضعف السلطة المركزية في الإمبراطورية المقدونية. وخلال هذه الحملة استولى بطلميوس على بيت المقدس، ويقال ان هذا حدث يوم سبت لأن الديانة اليهودية تحظر على اتباعها حمل السلاح في هذا اليوم وقد كان تحقيق وحدة مصر وسوريا تقليدًا مصريًا قديمًا، فإنه منذ عصر الأسرة الثامنة عشر كان الفراعنة الأقوياء لا يتوانون عن تحقيق هذه الوحدة لدرأ خطر دولة آسيا المعادية لهم. هذا إلى جانب أنهم كانوا يجدون هناك ما يفتقر إليه وادي النيل من المعادن والأخشاب اللازمة لبناء السفن. ولا شك في أن هذه المواد كانت ضرورية لسيادة البطالمة البحرية[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٢١.
[٢] إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، جـ١، ٧١.

إلا أنه في عام ٣١٥ق.م قام أنتيجونس بالهجوم على إقليم جوف سوريا والاستيلاء عليه، انتقامًا من بطلميوس الذي قام بمساعدة سليوقس حاكم بابل ضد أنتيجونس. وهو ما أدى إلى قيام تحالف من قبل القادة المقدونيين ضد أنتيجونس مطالبين إياه بإعادة سليوقس إلى مقر ولايته، والانسحاب من جوف سوريا. وفي عام ٣١٢ق.م توجه بطلميوس على رأس قواته لاستعادة إقليم جوف سوريا، الذي كان يتولى إدارته ديمتريوس بن أنتيجونس، ونجح بطلميوس في مهمته وألحق الهزيمة بديمتريوس. لكن في عام ٣١١ق.م عاد ديمتريوس لكي يثأر لهزيمته، ولحق به أبوه، مما اضطر بطلميوس إلى الانسحاب مرة أخرى[١].

٣. الاستيلاء على قبرص وجزر بحر إيجه

كان بطلميوس يحلم بإمبراطورية تضم سواحل البحر المتوسط، وتسيطر على الشرق الأدنى. إلى جانب الجزر المهمة في هذا البحر وخاصة جزر بحر إيجه وساحل آسيا الصغرى. ومن أجل تحقيق ذلك عزم على الاستيلاء على جزيرة قبرص، لأن امتلاكها سوف يحقق له السيادة على سواحل سوريا، وجزر بحر إيجه وسواحل آسيا الصغرى، وبعض المناطق المهمة في بلاد اليونان ذاتها. فضلًا على أن سواحل قبرص مُهيئة لأن تكون مرافئ طبيعية. فسواحلها في الشرق والجنوب تحقق له السيطرة على موانئ الشرق الأدنى، وتكون قاعدة بحرية لحماية مصر، وصد العدوان البحري عنها. وفي نفس الوقت تمكنه سواحلها الغربية والشمالية من التدخل في شئون جنوب بلاد اليونان إذا لزم الأمر. بالإضافة إلى ذلك فقد اشتهرت قبرص بأخشاب الأرز التي يحتاج إليها، وبمناجم الفضة ذلك المعدن الذي يندر في مصر، ولذلك أقام البطالمة فيما بعد دور سك العملات المصرية الفضية في قبرص، والتي ظلت تعمل في هذه الجزيرة حتى استيلاء الرومان عليها[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٤٤.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٢١- ١٢٢.

تمكن بطلميوس عام ٣١٠ق.م من الاستيلاء على جزيرة قبرص، وفي عام ٣٠٨ تمكن من الاستيلاء على أهم مدن اليونان، مثل ميجارا وكورنثه، وفي العام نفسه نجح في الاستيلاء على جزيرة أندروس كبداية لفرض نفوذه على جزر الكيكلاديس (الأرخبيل) في بحر إيجه. وقد نجح ديمتريوس بن أنتيجونس في عام ٣٠٦ ق.م من الاستيلاء على قبرص وطرد البطالمة منها؛ إلا أن بطلميوس تمكن من استعادتها عام ٢٩٤ق.م، وظلت تحت سلطان البطالمة إلى أن تنازل عنها بطلميوس الزمار للرومان عام ٥٨ق.م[١].

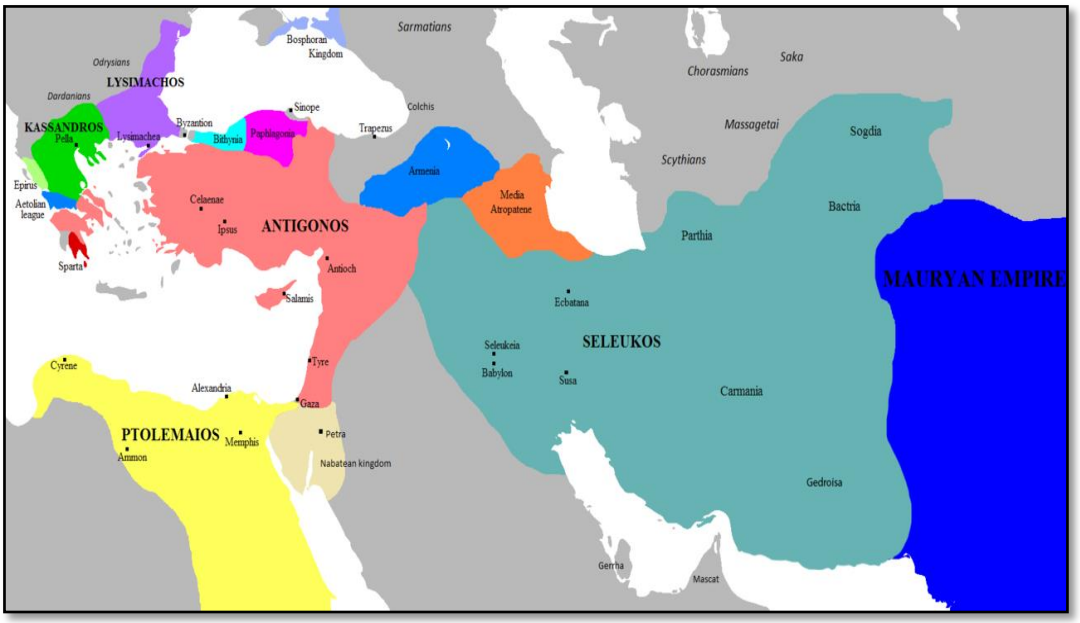

خريطة (٤) ممالك خلفاء الإسكندر في عام ٣٠٣ق.م[٢]

٤. معركة إبسوس ٣٠١ق.م

في عام ٣٠٣ق.م قام القادة بعقد تحالف مرة أخرى ضد أنتيجونس، واستغل بطلميوس انشغال القادة في ترتيب حساباتهم، فزحف بقواته لاستعادة جوف سوريا، ولكن سرعان ما سرت إشاعة مؤداها أن أنتيجونس نجح في سحق أعدائه، وأنه في طريقه إلى سوريا، فأسرع بطلميوس بالانسحاب من جوف سوريا. لكن الحقيقة كانت خلاف ذلك فقد

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٢٤.

[٢] https://en.wikipedia.org/wiki/Battle_of_Ipsus

ألحق الحلفاء هزيمة منكرة بأنتيجونس في موقعة إبسوس في عام ٣٠١ق.م، وفي هذه الموقعة خر أنتيجونس صريعًا وفر ابنه ديمتريوس[١].

جلس القادة المنتصرون لإعادة تقسيم الإمبراطورية، فقرروا تثبيت كاسندروس بن أنتيباتروس في مقدونيا وبلاد اليونان، وأصبحت آسيا الصغرى من نصيب ليسيماخوس، وسوريا وبابل من نصيب سليوقس، أما بطلميوس فقد قرروا الاعتراف بمكانته في مصر فقط، على أن يتم انتزاع جوف سوريا منه، وضمها إلى ممتلكات سليوقس عقابًا على موقفه المتخاذل أثناء حربهم مع أنتيجونس، لأنه لم يُبادر بتقديم المساعدة لهم، بل استغل انشغالهم في الحرب لتحقيق مكاسب شخصية. وقد رفض بطلميوس هذا القرار وتمسك بسيادته على جوف سوريا، وهو الأمر الذي سيؤدي إلى نزاعات طويلة الأجل بين دولة البطالمة في مصر، والدولة السليوقية في سوريا وبابل[٢].

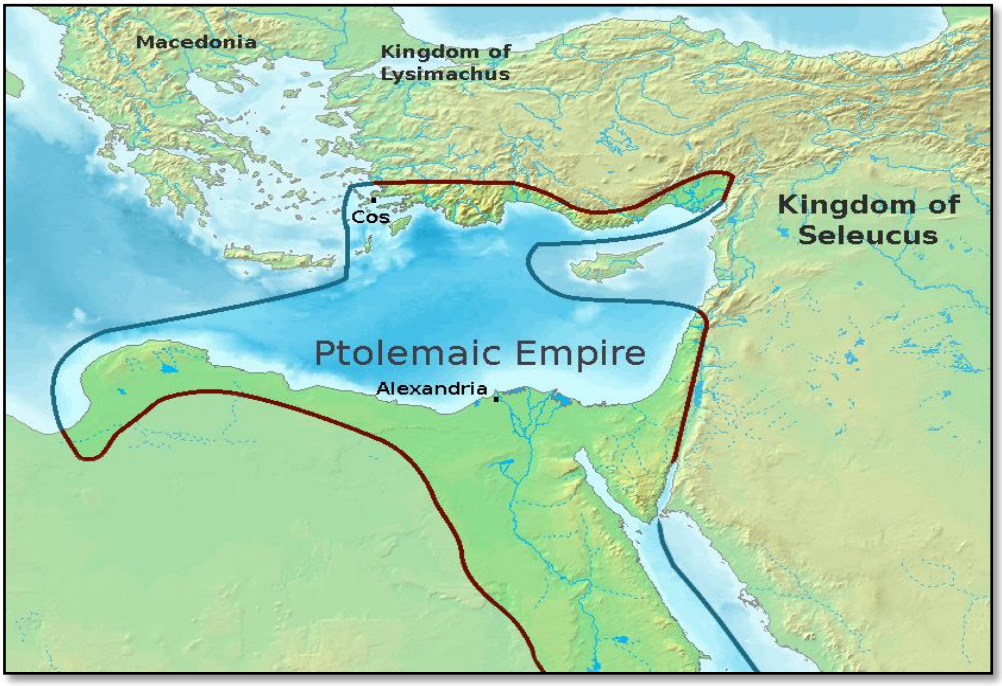

خريطة (٥) دولة البطالمة في عام ٣٠٠ق.م بعد موقعة إبسوس[٣]

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٤٦.

[٢] نفسه، ٤٦.

[٣] https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Ptolemaic-Empire-300BC.png

رابعًا: سياسة بطلميوس الأول الداخلية

مثلما قام بطلميوس بالدور الأكبر في تأمين مملكته في مصر، قام كذلك بالدور نفسه في ترتيب الأوضاع داخل مصر لضمان استقرار حكمه في بلد تتناقض ظروفه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية مع تلك السائدة في بلاد اليونان[١]، ويمكن تلخيص سياسته الداخلية في النقاط التالية:

١. سلطة الملك

كانت أول مشكلة على بطلميوس الأول أن يحددها هي وضعه على رأس الدولة، ويبدو أنه لم يشق كثيرًا في حل هذه المشكلة، فهو مقدوني ينتسب إلى دولة عرفت النظام الملكي المطلق، وقد عاصر في الإسكندر ملكًا لم يكتف بشخصية الملك؛ بل اتخذ لنفسه صفة إلهية أيضًا. وإلى جانب ذلك فإن بطلميوس قد أصبح على رأس دولة ألفت حكم الملوك الآلهة في شخص فرعون منذ أقدم العصور، فالملك المصري القديم كان مصدر وحدة الدولة سياسيًا ودينيًا واجتماعيًا. إذن فالوضع المألوف هو خير الحلول، وأصبح بطلميوس ملكًا وفرعونًا لمصر، على الرغم من أنه من الناحية الإسمية كان يسمى "نائب الملك" في الفترة الأولى من حكمه حين كان ساترابًا أو واليًا، ولكن منذ عام ٣٠٥ق.م بعد أن اتخذ لقب ملك أصبح يسمى بالملك الإله ابن الإله، ومارس السلطان الملكي المطلق، فكان هو الرئيس الفعلي للدولة سياسيًا ودينيًا واجتماعيًا[٢].

٢. أغرقة الحكم في مصر

قرر بطلميوس الاعتماد على المقدونيين والإغريق في جيشه وحكومته من أجل بناء مصر الجديدة، ولكن لا بد لنا أن نقرر أن بطلميوس الأول والملوك البطالمة من بعده لم

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٤٥.

[٢] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٤٦-٤٥

يتبعوا سياسة تهدف إلى أغرقة مصر أو نشر الحضارة الهيللينية بين المصريين؛ وإنما كان هدفهم هو أغرقة الجيش والإدارة فقط. وقد أجمع المؤرخون على أن البطالمة الأوائل اعتمدوا في بناء جيوشهم على المقدونيين والإغريق الذين تطوع بعضهم في خدمة البطالمة، أملًا في الفوز بالمنح والامتيازات، وكونت منهم الفرق النظامية. وباع البعض الآخر خدماتهم لملوك مصر وكونت منهم الفرق المرتزقة. ولا شك في أن البطالمة الأوائل اعتمدوا إلى أقصى حد على المقدونيين والإغريق، لثقتهم في كفايتهم وبسالتهم فيالقتال. هذا إلى جانب أن البطالمة لا يستطيعون الاعتماد على المصريين إما لارتيابهم في مقدرتهم الحربية، أو لرغبتهم في ألا ينتشلوا الأمة المصرية من الاضمحلال الذي تردت فيه، ذلك لأن الجيش في أي دولة هو رمز حيويتها وعنوان مجدها. لكن هذا لا يعنى أن البطالمة الأوائل قد أغفلوا أمر الجنود المصريين كلية، حيث استخدموهم كقوات مساعدة لنقل المؤن في معركة غزة ٣١٢ق.م[١].

وعمل بطلميوس الأول على تعمير إقليم الفيوم لتوطين الجنود المرتزقة من الإغريق والمقدونيين فيه. لأن الملل في المعسكرات قد يدفعهم في أوقات السلام إلى القيام بأعمال الشغب، أو الثورة على السلطة، لذا عمل بطلميوس على تعمير واحة الفيوم لتوفير أكبر مساحة من الأراضي لهؤلاء الجنود، لزراعتها والعيش من دخلها. وكان منخفض الفيوم يتحول إلى بحيرة كبيرة تمتلئ بالتماسيح عقب كل فيضان، مكونًا بحيرة قارون[٢].

٣. عدم التوسع في إنشاء المدن الإغريقية

لم يتوسع بطليموس الأول في إنشاء المدن الإغريقية مثل باقي خلفاء الإسكندر، لأنها سوف تتمتع بحكم ذاتي وجمعية شعبية ومجلس شورى، كما هو الحال في المدن الإغريقية في بلاد اليونان الأصلية. وبالتالي يكون ذلك مدعاة للتحرر والانفصال عن

[١] فادية محمد أبوبكر، دراسات في العصر الهللينستي، ١٢٨-١٢٩

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٣١-١٣٢.

السلطة المركزية المتمثلة في الملك وهذا يخالف النهج الذي انتهجه بطلميوس في الحكم. لذا لم يشيد بطلميوس سوى مدينة إغريقية واحدة سميت باسمه وهي مدينة "بطلمية" على الضفة الغربية لنهر النيل في صعيد مصر (المنشاة الحالية بمحافظة سوهاج)، وهي ثالث المدن الإغريقية في مصر[١]. ولعل الهدف من إنشاء بطلميوس لها، هو أن تكون مركزًا لحاميته للدفاع عن الجنوب[٢]، ولكي تشع الحضارة الإغريقية في قلب الصعيد مركز القومية المصرية، ومصدر الثورات ضد الغزاة والأجانب[٣].

خريطة (٥) موقع مدينة المنشاة (بطلمية قديمًا) بسوهاج[٤]

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٤٧.

[٢] فادية محمد أبوبكر، دراسات في العصر الهللينستي، ١٣٥.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٣٢.

[٤] https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B4%D8%A7%D8%A9%D8%8C_%D8%B3%D9%88%D9%87%D8%A7%D8%AC

٤. أعماله الثقافية

أ. تحويل الإسكندرية إلى عاصمة ثقافية للحضارة الهيللينستية:

حرص بطلميوس على إحداث نهضة فكرية وعلمية وفنية في مدينة الإسكندرية، لتجمع بين عرش التجارة والثقافة في عالم البحر المتوسط. لذا فتح أبواب القصر الملكي أمام الأدباء والفلاسفة خاصة أن مجد أثينا الثقافي كان قد بدأ يذبل ويتوارى. وبسط بطلميوس الذهب أمام هؤلاء العلماء والمفكرين، واعدًا إياهم بحياة كلها رغد. لقد بدأت الإدارة الذكية في مصر تؤتي ثمارها في أواخر عهد بطلميوس الأول، فزاد دخل الدولة وتراكمت الأموال في الخزانة في القصر الملكي، فتدفق العلماء على مدينة الإسكندرية في كل فرع من فروع المعرفة أمام المغريات المادية[١].

ب. الموسيون (الأكاديمية):

بتزايد أعداد العلماء والفنانين والفلاسفة في الإسكندرية قرر بطلميوس الأول بناء أكاديمية لهم، وعهد بذلك المشروع إلى ديمتريوس الفاليري، حاكم أثينا الذي هاجر إلى مصر بعد طرده من منصبه، وكان ديمتريوس فيلسوفًا وإداريًا وأديبًا، وبالفعل نفذ ديمتريوس مشروع بناء أكاديمية أو مجمع علمي أو جامعة أطلق عليها اسم "الموسيون"، أي بيت ربات الفنون والآداب التسع. وجعله كالجنة محاط بالحدائق وله أبنية فخمة، ذات حجرات وأبهية لراحة العلماء الوافدين، وكانت المعيشة في الموسيون جماعية ومجانية للأساتذة والطلاب، حيث يتناظرون ويتباحثون ويتأملون ويكتبون في هدوء تام. وكان للموسيون رئيس فخري سمي "بكاهن بيت ربات الفنون"[٢]. وقد أقام استرابون في الموسيون لمدة خمس سنوات لتأليف كتابه في الجغرافيا، بعد أن حضر إلى مصر أواخر القرن الأول الميلادي[٣].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٣٨-١٣٩

[٢] نفسه، ١٣٩-١٤٠.

[٣] فادية محمد أبوبكر، دراسات في العصر الهللينستي، ٣١٠-٣١١.

شكل (٥) الموسيون[١]

جـ. مكتبة الإسكندرية:

استفاد بطلميوس الأول من ثقافة ونشاط ديمتريوس الفاليري بأن وضع على عاتقه إنشاء مكتبة الإسكندرية، وقد ألحقت المكتبة بالموسيون وعُرفت بالمكتبة الكبرى أو المكتبة الأم تمييزًا لها عن المكتبة الصغرى التي الحقت بمعبد السرابيوم (معبد الإله سيرابيس). وسلك البطالمة كل الطرق لتزويد المكتبة بالكتب، وكانت أول هذه الطرق هي الثراء، ولم يدخر البطالمة جهدًا أو مالًا في سبيل الحصول على الكتب أينما وجدت، وكانت أكبر أسواق الكتب في ذلك الوقت في أثينا ورودس. كما استطاع ديمتريوس وهو من تلاميذ أرسطو أن يشتري لمكتبة الإسكندرية مكتبة أرسطو بمبلغ ضخم، وكانت تعتبر أكبر مكتبة في عصره. كما طلب بطلميوس من سكان القدس موافاته بمخطوطاتهم مترجمة إلى اللغة اليونانية، وقد أرسلوا إليه سبعين شخصًا من أكثر الناس دراية بالكتاب المقدس والمتمكنين من اللغتين اليونانية والعبرية، وقد اشتهرت هذه الترجمة للكتاب المقدس (التوراة) بعد ذلك

[١] https://assassinscreed.fandom.com/wiki/Mouseion_of_Alexandria

بالترجمة السبعينية. وصارت مكتبة الإسكندرية أشهر مكتبات العالم القديم، بعد أن حوت أعدادًا لا حصر لها من الكتب[١].

د. كتاب التاريخ المصري:

أوعز بطلميوس الأول إلى الكاهن المصر مانيتون السمنودي بوضع تاريخ للأسرات التي حكمت مصر حتى عهد الإسكندر، ونجح مانيتون في كتابة تاريخ مصر باللغة الإغريقية في كتاب سماه بـ "التاريخ المصري"، والتقسيم الذي وضعه مانيتون السمنودي لا زلنا نستعين به في تاريخ مصر القديمة[٢].

خامسًا: وراثة العرش

وأخيرًا شعر بطلميوس في عام ٢٨٥ق.م أنه قد بلغ من العمر عتيًا، إذ كان في الثانية والثمانين من عمره، بعد حياة مليئة بالكفاح والحروب والمغامرات، ورأى أن الوقت قد حان لتسليم زمام السلطة لولي عهده الذي اختاره، وهو ابنه من زوجته برينيكي، الذي أصبح يُعرف فيما بعد باسم بطلميوس فيلادلفوس. وفي عام ٢٨٤ق.م أعلن رسميًا تتويجه ملكًا في مدينة الإسكندرية، التي كان بناؤها قد اكتمل، والتي نقل إليها مقر الحكم رسميًا. وفي عام ٢٨٢ق.م مات بطلميوس الأول وتولى بطلميوس الثاني[٣].

---

[١] فادية محمد أبوبكر، دراسات في العصر الهللينستي، ٣١٢-٣١٤.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٣٩.

[٣] نفسه، ١٢٩.

الفصل الثالث
سياسة البطالمة في عصر القوة والازدهار

أولًا: بطلميوس الثاني (فيلادلفوس)

ثانيًا: بطلميوس الثالث (يورجيتيس)

ثالثًا: بطلميوس الرابع (فيلوباتور)

أهداف الفصل الثالث

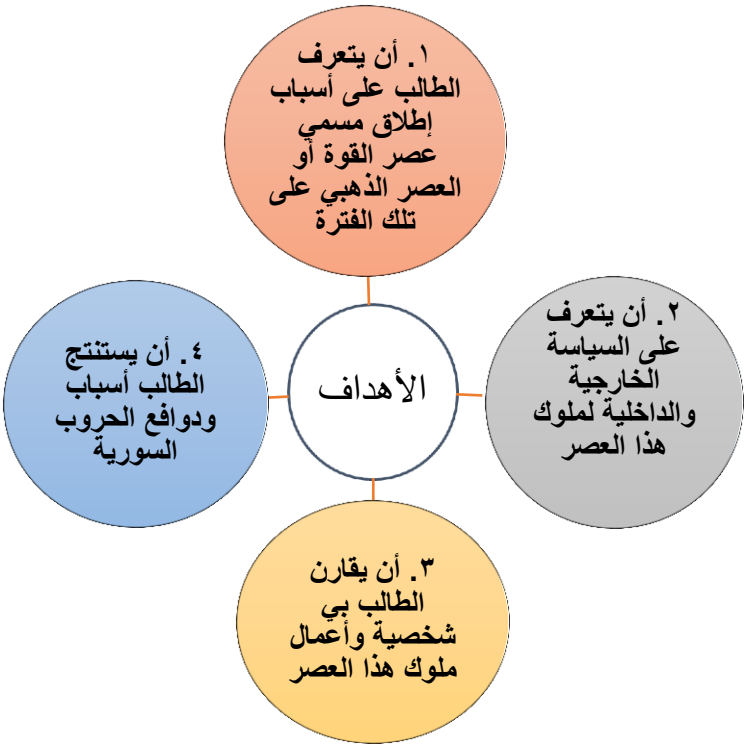

أولًا: بطلميوس الثاني (فيلادلفوس)

بطلميوس الثاني هو ابن بطلميوس الأول من زوجته برينيكي الأولى، وقد ولد في مارس ٣٠٩ق.م في جزيرة كوس قرب ساحل آسيا الصغرى. شارك والده في الحكم عام ٢٨٥ق.م، وأصبح ملكًا على مصر بعد وفاة والده عام ٢٨٤ق.م. وصفت شخصيته على إنها أميل إلى حياة الترف والبذخ، إلى جانب ثقافته الموسوعية التي كان لها الجانب الأكبر في بعث النهضة الثقافية والعلمية من خلال الموسيون، الذي كان بمثابة جامعة دولية في الإسكندرية، ومن خلال مكتبة الإسكندرية، التي كانت من أهم وأضخم المكتبات في العالم القديم، بما حوته من كنوز وذخائر في مختلف المجالات العلمية. وعرف عن بطلميوس الثاني أنه تزوج مرتين وله عدد من العشيقات. فقد تزوج من أرسينوي الأولى ابنة ليسيماخوس، ثم تزوج للمرة الثانية من شقيقته أرسينوي الثانية[١].

شكل (٦) بطلميوس الثاني فيلادلفوس

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٥٠.

كانت أرسينوي الثانية زوجة بطلميوس الثاني الثانية وأخته الشقيقة، من أهم الشخصيات التي أدت دورًا رئيسًا في سياسته. فقد دبرت مكيدة أوقعت بها بينه وبين زوجته أرسينوي الأولى، التي كان مصيرها النفي إلى قفط في صعيد مصر، وتزوج من شقيقته أرسينوي الثانية، التي تبنت أولاد الزوجة الأولى. وكانت أرسينوي الثانية ذات طموح لا يُحد ولا يتقيد بعرف أو قانون أو أخلاق، حتى أنها أصبحت أقوى وأشهر امرأة في عصرها. وكانت أرسينوي الثانية أول ملكة بطلمية تؤله رسميًا هي وبطلميوس الثاني أثناء حياتهما تحت لقب فيلادلفوس بمعنى "المحبة لأخيها أو المحب لأخته". كما أطلق اسمها على إحدى مقاطعات مصر الكبرى، وهي منطقة الفيوم[١]، وإن دل هذا فإنما يدل على المكانة التي احتلتها أرسينوي الثانية في حياة بطلميوس الثاني، ويدل أيضًا على عمق الدور الذي أدته في تصريف أمور الدولة[٢].

شكل (٧) أرسينوي الثانية الزوجة الثانية لبطلميوس فيلادلفوس

[١] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٥٤-٥٥.

[٢] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٥١.

أ. سياسته الخارجية

سار بطلميوس الثاني على نهج والده في توطيد نفوذ مصر السياسي والعسكري في مناطق ثلاث أساسية هي: سوريا الجنوبية على الحدود الشرقية، وقوريني (برقة) على الحدود الغربية، وحوض بحر إيجه والساحل الجنوبي لآسيا الصغرى في الشمال[١].

١. الحرب السورية الأولى (٢٧٦ -٢٧٢ق.م)

من أجل الاحتفاظ بسوريا الجنوبية وفينيقيا دخل فيلادلفوس في حربين مع الدولة السليوقية، أولهما عُرفت بالحرب السورية الأولى وبدأت في ربيع عام ٢٧٦ق.م، واستطاعت فيها القوات البطلمية أن تحتل مدينة دمشق في أول الحرب؛ لكن الملك السليوقي أنطيوخس الأول تمكن من استرداد دمشق، ودحر القوات المصرية ثانية إلى سوريا الجنوبية[٢].

٢. الحرب الخريمونيدية

دخل بطلميوس الثاني في تحالف مع المدن اليونانية العريقة بزعامة أثينا واسبرطة ضد الوجود المقدوني في بلاد اليونان. وعندما بدأت حركة التمرد اليونانية ضد مقدونيا في عام ٢٦٦ق.م، بقيادة أثيني يدعي خريمونيديس، بنى اليونانيون آمالًا كبيرة على معونة الأسطول المصري، الذي كان يسيطر في ذلك الوقت على حوض بحر إيجه؛ غير أن الأسطول المصري لم يستطع أن يفعل شيئًا مؤثرًا في الحرب. واستطاع الجيش المقدوني من سحق إبيروس، وتقدم نحو أثينا فاستسلمت عام ٢٦١ق.م، وسقط ملك اسبرطة قتيلًا وهو يحاول نجدة أثينا، أما خريمونيديس فقد فر لاجئًا إلى مصر[٣].

---

[١] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٥٥.

[٢] نفسه، ٥٥.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٤٥.

٣. الحرب السورية الثانية

دارت رحى الحرب السورية الثانية في غرب آسيا الصغرى عام ٢٦٠ق.م في محاولة من جانب بطلميوس الثاني للحد من نفوذ الدولة السليوقية؛ لكن في هذه الحرب تحالف مع أنطيوخس الثاني كل من مقدونيا ورودس. وكانت النتيجة أن مُنيَّ الجيش البطلمي بعدد من الهزائم في المعارك التي خاضها ضد القوات السليوقة أو حلفائها، وهذه المعارك هي[١]:

١) معركة بحرية عند إفيسوس عام ٢٥٩ق.م وكانت هزيمته على يد رودس.

٢) معركة بحرية عند كوس عام ٢٥٨ق.م وكانت هزيمته على يد مقدونيا.

٣) انسحاب الجيش البطلمي أمام ضغط جيش أنطيوخس الثاني من ليكيا وبامفيليا.

وكان من نتيجة هذه الحروب أن فقدت مصر أملاكها في بحر إيجه باستثناء كاريا وجزيرة ثيرا. وعقد الملكان بطلميوس الثاني وأنطيوخس الثاني معاهدة صلح، ولإثبات حسن النوايا تزوج أنطيوخس الثاني من برينيكي ابنة فيلادلفوس من زوجته أرسينوي الأولى[٢]. ولقد اصطحب بطلميوس الثاني ابنته حتى بيلوزيوم على حدود مصر، وبالتالي فقد فُسر ذلك على أن ممتلكات مصر في جنوب سوريا وفينيقيا ذهبت كمهر للعروس تدفعه إلى عريسها، جريًا على عادة الزواج عند الإغريق، لذلك أطلق على برينيكي لقب "حاملة المهر"[٣].

٤. سياسة بطلميوس الثاني في قوريني (برقة)

عندما وصل فيلادلفوس إلى العرش، أعلن ماجاس حاكم برقة، والأخ غير الشقيق لفيلادلفوس الاستقلال عن مصر، وأعلن نفسه ملكًا، ثم شرع في غزو مصر عام ٢٧٤ق.م؛ لكن حملته باءت بالفشل بسبب ثورة بعض قبائل البدو ضده. ووطد ماجاس علاقته مع

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٥٣.

[٢] نفسه، ٥٣.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٤٦.

أنطيوخس، وتزوج ابنته. لكن سرعان ما تحسنت العلاقات بين ماجاس وأخيه ملك مصر، واتفق الملكان على أن تتزوج ابنة ماجاس المسماة برينيكي من ابن الملك فيلادلفوس، وكانت هذه خير الحلول لعودة الوحدة بين مصر وبرقة. لكن بعد وفاة ماجاس حوالي عام ٢٥٩ق.م أو ٢٥٨ق.م، لم تنفذ زوجته هذا الاتفاق، وراحت تخطب لابنتها ديمتريوس الأخ غير الشقيق للملك المقدوني، وكان معروفًا بشدة جماله، ويبدو أن الملكة لم تتمكن من مقاومة إغرائه فوقعت في حبه. بطبيعة الحال لم ترض ابنتها بالأمر، فدبرت له مكيدة وقتلته وهو في فراش والدتها عام ٢٥٥ق.م، وقبضت على زمام الأمور في برقة، ونفذت خطت والدها في الزواج من ولى عهد مصر بطلميوس الثالث، وهكذا عادت الوحدة بين مصر وبرقة[١].

٥. سياسة بطلميوس الثاني تجاه النوبة

يذكر المؤرخ ديودوروس الصقلى أن بطلميوس الثاني قد اصطحب قوة من الجنود المرتزقة في حملة مفاجئة على بلاد النوبة (أثيوبيا القديمة)، غير أنه لم يوضح لنا السبب الذي دفعه للقيام بهذه الحملة، فربما كانت اشبه ببعثة لاستكشاف هذه الأغوار الإفريقية بحيواناتها، ونباتاتها وطيورها، بل وربما لمحاولة تتبع نهر النيل، الذي كان منبعه مشكلة حيرت العلماء. فقد كان بطلميوس الثاني شغوفًا بدراسة الجغرافيا وعلم النبات والحيوان، وربما كان هذا هو الدافع وراء هذه الحملة[٢].

٦. سياسة بطلميوس الثاني في فلسطين وشرق الأردن

كانت فلسطين بسكانها العرب المتأغرقين واليهود المتطرفين جزءًا من مملكة البطالمة في الشرق الأدنى، وكانت لها أهمية اقتصادية مهمة. فقد كانت فلسطين تمد مصر بزيت

---

[١] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٦٠.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٦٢.

الزيتون، والخيول العربية، والأغنام، والرقيق، والفضة. كما أن أسماء المدن في فلسطين اتخذت أسماء بطلمية جديدة، فنسمع عن مدينة تسمى أرسينوي على حدود فلسطين مع لبنان، وهناك مدينة ثانية تحمل نفس الاسم، وأخرى كانت تحمل اسم برينيكي في الشام؛ لكن المركز الرئيس للنفوذ البطلمي في فلسطين كان في مدينة عكا، التي كانت في العصر الهيللينستي تسمى بطلمية. وكانت الدولة اليهودية تشمل أورشليم وما حولها، وكانت شديدة الارتباط بالبطالمة، فقد كانت تدفع الجزية لمصر. وكانت عاصمة شرق الأردن في العصر البطلمي أو الهيللينستي تسمى فيلادلفيا تخليدًا للملكة أرسينوي[١].

٧. سياسة بطلميوس الثاني تجاه شبه الجزيرة العربية

اهتم بطلميوس الثاني بالجزيرة العربية خاصة سواحلها الغربية، وكانت صحراء مصر الشرقية امتدادًا من ناحية المناخ والظروف الطبيعية والحيوانية والسكانية لصحراء الجزيرة العربية. حتى أن هيرودوتوس في القرن الخامس قبل الميلاد أطلق على صحراء مصر الشرقية اسم بلاد العرب. لذا اهتم بطلميوس بإرسال المستكشفين إليها لاستكشاف سواحل البحر الأحمر. فضلًا عن أهمية الجزيرة العربية الاقتصادية، كوسيط لنقل تجارة الشرق الأقصى وشرق أفريقيا، بفضل طريق البخور، وما تصدره جنوب الجزيرة من بخور وطيوب. وقام فيلادلفوس بإنشاء ميناء أو مستعمرة في بلاد العرب تدعى "أمبيلوني"[٢].

٨. سياسة بطلميوس تجاه روما وقرطاجة

اتخذ فيلادلفوس الخطوة الأولى نحو الاتصال بروما، فيبدو أنه حدث اتصال بين مصر وروما عن طريق السفارات في عامي ٢٧٣ق.م، أثناء حرب روما مع بيروس ملك

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٤٦- ١٤٧.

[٢] نفسه، ١٤٨-١٤٩.

إبيروس. وبعد ذلك في عام ٢٦٤ق.م أثناء حروب روما مع قرطاجة بعثت قرطاجة تطلب مساعدة مالية من الملك المصري، لكنه لم يشأ ان يتورط في هذه الحرب الكبرى والتزم الحياد، فرفض مساعدة قرطاجة. لكنه عرض وساطته للصلح إذ لزم الأمر[١].

ب. سياسته الداخلية

لم يشمل الحكم البطلمي بأسره الذي امتد ثلاثة قرون، حكمًا أكثر بذخًا وأكثر دعة وإقبالًا على التنعم من حكم بطلميوس الثاني. وقد اشتهر هذا الملك بالمجون إلى أبعد الحدود، فلم يكتف بأنه بدأ تقليدًا غريبًا على الأخلاق اليونانية، وهو قبوله الزواج من شقيقته؛ بل عرف بأنه كان له عدد من المحظيات. ولم يخرج هذا الملك في أي حرب من الحروب التي خاضها؛ وإنما كان يرسل جيوشه تحت قيادة أعوانه من القادة والضباط. وأقام هو في الإسكندرية وكأنه في معزل عن جيوشه المحاربة[٢].

عمل بطلميوس الثاني على استكمال مشاريع النهضة الداخلية التي بدأها والده، وتنسب إليه الأعمال التالية: تجميل الإسكندرية وإنشاء العديد من المباني الكبرى فيها. نال الموسيون ومكتبته رعاية ملكية خاصة، وجلب إليهما كبار الشعراء والعلماء، مما كان له الأثر في ذيوع شهرتيهما في العالم القديم، واستكمل أركان النظم الإدارية والاقتصادية الداخلية. أسس عبادة الأسرة المالكة وألحقها بعبادة الإسكندر آمون، فبعد وفاة والده أعلن بطلميوس الثاني تأليه والده وأمه برينيكي، ثم أقبل على تأليه نفسه وزوجته أرسينوي الثانية في حياتهما تحت لقب فيلادلفوس (المحب لأخته والمحبة لأخيها). وفي العام الأخير من حكمه أشرك بطلميوس الثاني معه في الحكم ابنه بطلميوس الثالث (يورجيتيس)[٣].

---

[١] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٦١.

[٢] نفسه، ٦١-٦٢.

[٣] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٥٥.

ثالثًا: بطلميوس الثالث (يورجيتيس)

ولد بطلميوس الثالث عام ٢٨٤ق.م ونشأ في جزيرة ثيرا، ثم تولى حكم مصر خلفًا لوالده بطلميوس الثاني الذي توفي عام ٢٤٦ق.م، وأمه هي أرسينوي الأولى، التي نفاها والده إلى جنوب مصر، بعد أن اتهمت بالتآمر ضد زوجها، وكان ذلك بتدبير من زوجة أبيه أرسينوي الثانية. تزوج بطلميوس الثالث من برينيكي الثانية ابنة ماجاس حاكم برقة، وأنجبت له كل من بطلميوس الرابع وماجاس والإسكندر وبرينيكي وأرسينوي الثالثة، ولم يُعرف عنه أنه قد تزوج مرة أخرى، أو أنه اتخذ لنفسه محظيات كما فعل والده من قبل. وصفت شخصية بطلميوس الثالث بالاتزان والاعتدال في السلوك، ورفعة الأخلاق، والولع بالثقافة، وحب العلم، ومثل هذه الصفات كان لها التأثير البالغ على الحركة الثقافية في الإسكندرية، وعلى سياسته الداخلية تجاه المصريين، الذين لقبوه بيورجيتيس أي "المحسن" أو "الخير"[١].

شكل (٨) بطلميوس الثالث (يورجيتيس) (٢٤٦ -٢٢١ق.م)

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٥٦.

أ. سياسته الخارجية

١. الحرب السورية الثالثة (٢٤٦- ٢٤١ق.م)

كانت هذه الحرب أمرًا متوقعًا نتيجة للمصاهرة التي تمت من قبل بين أنطيوخس الثاني وبطلميوس الثاني، وعندما مات أنطيوخس الثاني في ظروف غامضة في إفيسوس (بآسيا الصغرى حيث كانت توجد زوجته الأولى لاوديكي) أشارت أصابع الاتهام إلى هذه الزوجة، وذكرت الشائعات أنها أقدمت على هذا العمل حتى تؤمن العرش لابنها، بدلًا من ابن الزوجة الجديدة الأميرة البطلمية برينيكي. وسارعت بإعلان ابنها ملكًا على الدولة السليوقية، تحت اسم سليوقس الثاني، تيمنًا باسم جده سليوقس الأول مؤسس الدولة. ولم يكن أمام برينيكي سوى طلب العون من شقيقها بطلميوس الثالث ملك مصر فتقدم بطلميوس على الفور ملبيًا طلب شقيقته، واستطاع أن يجتاح سوريا، وتمكن من دخول أنطاكيا عاصمة الدولة السليوقية، ثم عبر نهر الفرات إلى بلاد ما بين النهرين. وتذكر بعض الروايات أن برينيكي وابنها قتلا قبل وصول بطلميوس الثالث؛ وأنه علم بهذا الخبر وأخفاه حتى يوجد لنفسه مبررًا للاستمرار في الحملة. والحقيقة أنه بعد تلك الانتصارات التي أحرزها بطلميوس، كان بمقدوره القضاء على الدولة السليوقية قضاءً مبرمًا[١].

لكن في نهاية عام ٢٤٥ق.م اضطر بطلميوس إلى العودة إلى مصر، فقد جاءت الأنباء من مصر، بأن فيضان النيل في هذا العام جاء منخفضًا، مما سبب القحط والمجاعة، وأدى إلى حدوث حالة من الاضطراب. وقد استغل سليوقس الثاني الفرصة واستعاد في عام ٢٤١ق.م كل ما استولى عليه بطلميوس، ولكن بقيت في حوزة مصر سوريا الجنوبية. وانتهت هذه الحرب بتوقيع معاهدة بين مصر والدولة السليوقية عام ٢٤١ق.م[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٥٤-٥٥.
[٢] نفسه، ٥٥.

٢. اتباع سياسة الدبلوماسية

لم يخرج بطلميوس الثالث للحرب مرة ثانية طوال حياته، مستغلًا مجده الحربي الذي حققه في الحرب السورية الثالثة أحسن استغلال لتوطيد نفوذه في الداخل والخارج. واكتفي باستخدام أساليب دبلوماسية قوية داخل بلاد منافسيه، في الدولة السليوقية والمقدونية. ففي الدولة السليوقية استغل الصراع بين سليوقس الثاني وشقيقه الأصغر أنطيوخس هيراكس، وهو الصراع الذي سمي بحرب الأخوين، فراح بطلميوس الثالث يحرض أحد الطرفين على الآخر عن طريق إمداده بالمال. هكذا بقيت الدولة السليوقية منشقة على نفسها فترة من الزمن، فلم تتمكن من مهاجمة ممتلكات مصر في سوريا الجنوبية. وفي بلاد اليونان كان يساند المدن اليونانية في ثوراتها ضد السيطرة المقدونية[١].

ب. سياسته الداخلية

١. إحسانه تجاه المصريين

بمجرد أن تولى بطلميوس الثالث حكم مصر واجهته أزمتين خطيرتين هما: أزمة الحرب السورية الثالثة، وأزمة المجاعة بسبب انحسار فيضان النيل، ولكي يتجاوز هاتين الأزمتين وجد من الصواب اتباع سياسة من شأنها أن تهدئ من روع الجبهة الداخلية المتمثلة في المصريين، خاصة من الناحيتين المعيشية والدينية، وأهم الأعمال التي قام بها بطلميوس الثالث في هذا الصدد هي[٢]:

-أعاد إلى المعابد المصرية تماثيل الآلهة المصرية التي حملها الفرس معهم عند مغادرتهم مصر قبل دخول الإسكندر، وذلك أثناء الحرب السورية الثالثة.

---

[١] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٦٦-٦٧.

[٢] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٥٨.

-تنازل عن الضرائب المفروضة من قبل الدولة، وأمر باستيراد القمح من الخارج، حتى يجتاز الناس أزمة المجاعة.

-أقام العديد من المنشآت الدينية، مثل إكماله لمعبد إيزيس الذي شرع والده في بنائه في جزيرة فيلة، والصرح (البيلون) الذي شيده في الكرنك، كما بدأ في عهده تشيد معبد حورس في إدفو، الذي اكتمل بناءه في عهد بطلميوس الثاني عشر (الزمار).

٢. قرار كانوب (٢٣٧ق.م)

نال بطلميوس الثالث بسب أعماله الخيرية رضى المصريين، وقد عبر الكهنة المصريين عن هذا الرضى في قرارهم المؤرخ بعام ٢٣٧ق.م، والمعروف باسم قرار كانوب – نسبة إلى البلدة التي عقد فيها الاجتماع الذي صدر خلاله هذا القرار، ووصفوا فيه الملك والملكة بالإلهين الخيرين، وهكذا أصبحا ضمن ملوك الأسرة المؤلهين، وأصبحت كنية بطلميوس الثالث يورجيتيس بمعنى "المُحسن" أو "الخيّر"[١].

٣. إصلاح التقويم

تم في عهد بطلميوس الثالث تطوير وضبط السنة المصرية الزراعية، والتي كانت تقوم على التقويم الشمسي. وذلك بإضافة يوم كل أربع سنوات إلى أيام النسيء الخمس، التي كانت تضاف إليها عند نهايتها. فأصبحت السنة بذلك ٣٦٥ يومًا في السنة العادية و٣٦٦ يومًا كل سنة كبيسة. ولا شك أن علماء الفلك في الإسكندرية ساهموا في وضع هذا التقويم الجديد الذي أصبح يعرف بالتقويم السكندري، والذي نقله الرومان في عهد يوليوس قيصر وطبقه في روما، ثم عمل به أغسطس في مصر عندما دخلها في عام ٣٠ق.م[٢].

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٥٩.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٧٠، مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٦٨.

٤. محاولة تحديد بداية حكم دولة البطالمة

كانت مسألة تحديد بداية الدولة البطلمية من المسائل التي شغلت تفكير بطلميوس الثالث، فاختار لذلك عام ٣١١ق.م، وهو عام وفاة الإسكندر الرابع ابن الإسكندر الأكبر، وهو العام الأول من تاريخ الدولة البطلمية المستقلة، وذلك على اعتبار أن الإسكندر الرابع هو اخر ملك شرعي من بيت الإسكندر. ولم يؤخذ بهذا التأريخ الجديد، وظل التأريخ يسير وفق فترة حكم كل ملك[١].

رابعًا: بطلميوس الرابع (فيلوباتور)

يعتبر عهد فيلوباتور نقطة تحول في تاريخ دولة البطالمة، وبداية العد التنازلي لها. فقد تسلم الحكم من أبيه دون أن يجد جيشًا قويًا، بالإضافة إلى ذلك فقد كانت شخصية الملك الجديد ضعيفة ومتخاذلة، مما جعله ألعوبة في أيدي رجال القصر من أمثال أجوثوكليس، وسوسيبيوس الذي خطط للوقيعة بين الملك وأسرته، واستخدمه للتخلص من كل منافسيه ليخلو له الجو، ويتصرف كما يشاء في البلاد. في ذلك الوقت الذي حكم فيه مصر ملكًا ضعيف، جلس على العرش السليوقي في أنطاكيا أقوى ملوك الأسرة السليوقية، وهو أنطيوخس الثالث، كما جلس على عرش مقدونيا الملك فيليب الخامس، وكان ملكًا طموحًا يتوقد غيرة ونشاطًا لإحياء الإمبراطورية المقدونية. وقد تحالف الملكان السليوقي والمقدوني للانتقام من اسرة البطالمة. فقد كانا طامعين في تقسيم الإمبراطورية البطلمية بينهما، بل كان أنطيوخس الثالث يحلم بضم مصر إلى دولته. وفي ذلك الوقت نفسه كانت روما تتطلع لوضع قدم لها في شرق البحر المتوسط[٢].

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٥٩.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٧١.

شكل (٩) صورة لبطلميوس الرابع على قطعة من العملة[١]

أ. سياسته الخارجية

١. الحرب السورية الرابعة

في العام الأول من حكم بطلميوس الرابع عام ٢٢١ق.م، زحف أنطيوخس الثالث بجيشه إلى سوريا الجنوبية، لكن القائد العام للجيوش المصرية هناك كان على جانب كبير من التفوق والقدرة العسكرية، فتمكن من إحكام الدفاع عن مدن فينيقيا وحصونها، وفشل أنطيوخس في الاستيلاء عليها. وقبل معاودة الهجوم اضطر الملك السليوقي إلى العودة إلى دولته لمواجهة ثورة ضده في بابل. وهو ما أعطى الفرصة لسوسيبيوس لإعادة تنظيم الجيش المصري، فأحضر كثيرًا من الجنود المرتزقة من بلاد اليونان. ولكن أهم خطوة لجأ إليها مضطرًا بطبيعة الحال، هو تجنيد نحو عشرين ألف جندي من الفلاحين المصريين، الذين دربهم بواسطة ضباط وجنود مقدونيين وإغريق على الأساليب الحربية المقدونية، كل هذه الأمور أحيطت بسرية كاملة لمدة عامين تقريبًا[٢].

---

[١] http://www.hellenicaworld.com/Greece/Person/en/PtolemyIVPhilopator.html

[٢] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٧٢-٧٣.

كان أنطيوخس الثالث خلال هذين العامين قد تمكن من اخضاع جميع القلاقل في دولته، فسار على رأس جيشه في عام ٢١٨ق.م إلى سوريا الجنوبية، وكان الموقف منذ البداية في صالحه. فتقدم أنطيوخس في سهولة إلى فينيقيا وأخذها، وتقدم جنوبًا حتى استولى على غزة دون مقامة تُذكر. في هذه الأثناء كان القصر البطلمي قد أكمل استعداداته ونقل جيوشه إلى أرض المعركة تحت قيادة الملك نفسه. ودارت المعركة بالقرب من مدينة رفح في يونيو ٢١٧ق.م[١].

- معركة رفح ٢١٧ق.م:

بدأت بالقرب من مدينة رفح في ٢٢ يونيو عام ٢١٧ق.م، وابتدأت المعركة بحملة عنيفة من جانب أنطيوخس، الذي قاد جناحه الأيمن من الفرسان، واجتاح فرسان الجيش البطلمي في الميسرة، التي كانت بقيادة الملك البطلمي نفسه، حتى أن الملك لاذ بالفرار. ولكن المعركة لم تنته عند هذا الحد، بل استمر قتال عنيف التحم فيه المشاة من الجانبين، أثبت فيه الجنود من الفلاحين المصريين الذين لم يمر على تجنيدهم عام ونصف جدارتهم، رغم بعد عهدهم بالقتال. ولم تنته المعركة إلا وكان لهؤلاء الجنود المصريين الفضل في الانتصار على الجيش السليوقي. وهكذا احتفظت مصر هذه المرة أيضًا بسيادتها على سوريا الجنوبية بما فيها فينيقيا وفلسطين[٢].

ولهذا فإن المؤرخين يعتقدون أن معركة رفح عام ٢١٧ق.م، كانت نقطة تحول في تاريخ دولة البطالمة في مصر، فقد أدت هذه المعركة إلى ارتفاع الروح المعنوية لدى المصريين، وعودة الثقة إلى أنفسهم لأول مرة منذ قرون مضت، وهو ما أدى إلى كثرة حركات المقاومة الوطنية، خاصة في الصعيد معقل القومية المصرية، وبدأت النبوءات

---

[١] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٧٣.

[٢] نفسه، ٧٤.

الدينية المصرية تكثر وتبشر المصريين بقرب ظهور البطل المصري الذي سوف يعيد لطيبة مجدها من سيطرة الإسكندرية. وبذل الملوك البطالمة جهدًا كبيرًا في القضاء على هذه الثورات، التي كلفت الاقتصاد البطلمي الكثير. ولم يجد الملوك البطالمة بعد ذلك بدًا من تملق المصريين، والتودد إلى الكهنة لكسب رضاهم[١].

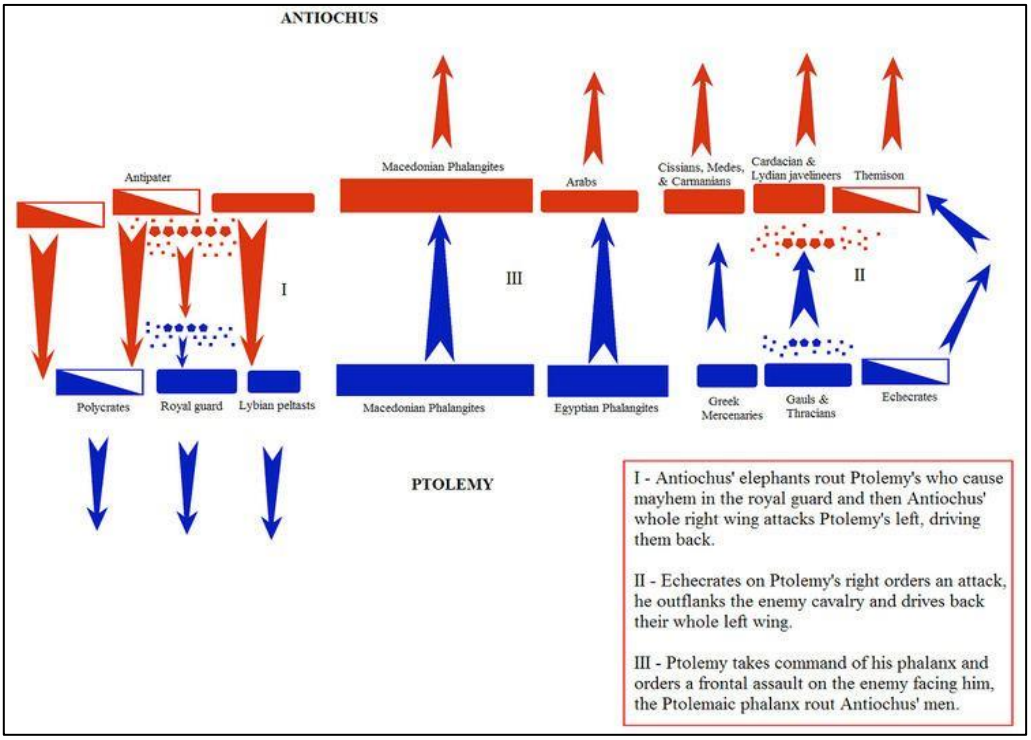

شكل (١٠) شكل يوضح معركة رفح عام ٢١٧ق.م وانتصار المشاة المصرية ودحرها لقوات العدو[٢]

٢. سياسته تجاه روما وقرطاجة

قدم بطلميوس الرابع المساعدات للرومان خلال الحرب البونية الثانية، بعد أن قام هانيبال بتدمير حقول القمح الإيطالية، وهو ما جعل الرومان يشعرون بأهمية مصر الاقتصادية، وأخذت الوفود الرومانية تتقاطر على مصر خلال الفترة (٢١٥- ٢١٠ق.م)[٣].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٧٤- ١٧٥.

[٢] https://alchetron.com/Battle-of-Raphia

[٣] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٦٢.

أ. سياسته الداخلية

بعد انتصار رفح عاد الملك إلى الإسكندرية ليعلن زواجه من أخته أرسينوي الثالثة، وكانت فتاة حديثة السن على جانب كبير من الحياء والأخلاق. وفي مناسبة الزواج الملكي أعلن تأليه الملك والملكة تحت اسم فيلوباتور أي (المحب لوالده أو المحبة لوالدها). ومن أهم الأحداث الداخلية في عهده الثورة التي قام بها الجنود المصريين العائدين من رفح، والتي نتج عنها استقلال طيبة حتى عام ١٨٥ق.م. وانغمس الملك في حياة المجون والخمر والشعوذة الدينية والتأليف المسرحي، وانتهت حياته عام ٢٠٥ق.م[١].

[١] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٧٥- ٧٦.

الفصل الرابع
سياسة البطالمة في عصر الضعف والانهيار

أولًا: بطلميوس الخامس

ثانيًا: بطلميوس السادس

ثالثًا: بطلميوس الثامن

رابعًا: بطلميوس التاسع والعاشر

خامسًا: بطلميوس الحادي عشر

سادسًا: بطلميوس الثاني عشر

سابعًا: كليوباترا السابعة

أهداف الفصل الرابع

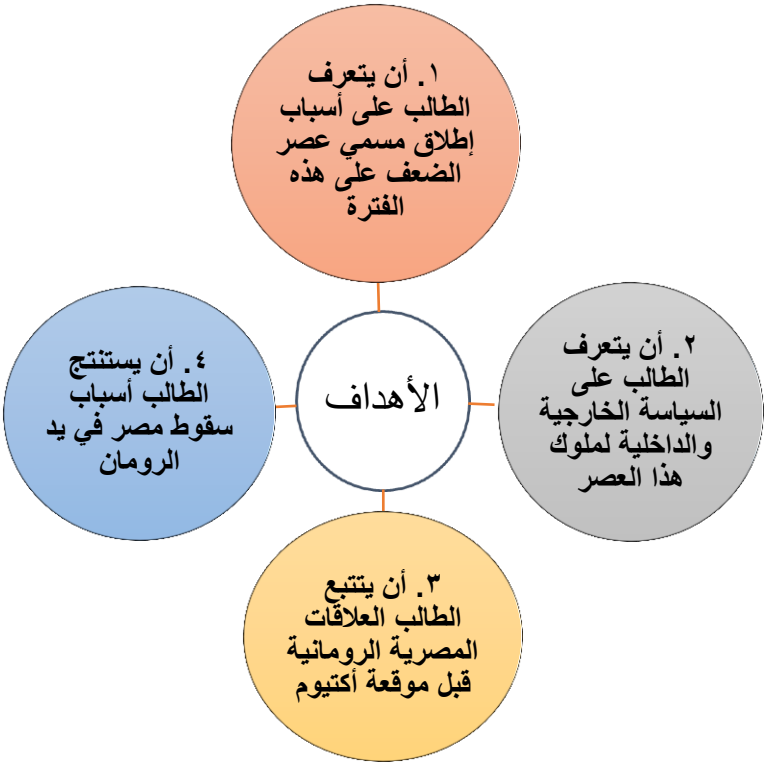

مقدمة

يميل المؤرخون إلى اعتبار عام ٢١٧ق.م، الذي وقعت فيه موقعة رفح، بداية لمرحلة جديدة في تاريخ مصر، جرت فيها تحولات كثيرة على الصعيد الداخلي والخارجي. ويمكن اعتبار الشطر الأول من عصر البطالمة، الذي يبدأ بانفراد بطلميوس الأول بالسلطة وحتى عام ٢١٧ق.م، عصر القوة والازدهار. أما الشطر الثاني منذ ذلك التاريخ وحتى سقوط الدولة، فهو عصر الضعف والانهيار، الذي شهد تدهور أحوال البلاد في الداخل، وضياع هيبة الدولة في الخارج. ففي الشطر الثاني تضافرت مجموعة من العوامل أدت إلى سقوط الدولة، منها ما هو داخلي، وما هو خارجي، ويمكن اجمال العوامل الداخلية في ثلاثة عناصر هي[١]:

- ثورات المصريين
- ضعف السلطة المركزية
- النزاعات على العرش البطلمي

أما العوامل الخارجية فإنها تكمن في ظهور ثلاث قوى فتية، راحت تتربص بدولة البطالمة وتعمل على إضعافها، وهي[٢]:

- أنطيوخس الثالث الملك السلوقي
- فيليب الخامس ملك مقدونيا
- روما

وقد أدت هذه الي العوامل مجتمعة إلى سقوط دولة البطالمة في نهاية الأمر في يد الرومان، وتحولها من دولة مستقلة إلى ولاية تابعة لروما.

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٥٩.

[٢] نفسه، ٥٩.

أولًا: بطلميوس الخامس (إبيفانيس)

هو ابن بطلميوس الرابع من زوجته أرسينوي الثالثة، ولد في عام ٢١٠ق.م، وخلف والده في حكم مصر عام ٢٠٥ق.م، تحت وصاية أجاثوكليس وسوسيبيوس بعد التخلص من والدته حتى لا تقوم بالوصاية على ابنها، فدبرا مؤامرة قتلا فيها الملكة في حريق غامض، ثم أعلنا نفسيهما وصيين على الملك الطفل بمقتضى وصية مزيفة نسباها للملك الراحل، واستمرت وصايتهما حتى عام ٢٠٣ق.م. ثم تولى الوصاية تليبوليموس حتى عام ٢٠٢/٢٠١ق.م، ثم تحت وصاية أريستومينيس حتى بلوغه سن الرشد في عام ١٩٧ق.م. تزوج بطلميوس الخامس من كليوباترا الأولى، ابنة أنطيوخس الثالث الملك السليوقي، وأنجبت له بطلميوس السادس والثامن وكليوباترا الثانية. وتم تأليه بطلميوس الخامس وزوجته كليوباترا الأولى تحت لقب إبيفانيس بمعنى "الظاهر أو المتجلي"[١].

شكل (١١) بطلميوس الخامس إبيفانيس (٢٠٥ -١٨٠ق.م)

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٦٥، سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٧٨.

١. الحرب السورية الخامسة

بدأت الحرب السورية الخامسة عندما بدأ أنطيوخس الثالث بالاستيلاء على سوريا الجنوبية وفينيقيا، ثم تقدم للاستيلاء على غزة في عام ٢٠١ق.م. وحاول الوصي على الملك وقتها أريستومينيس أن يتصدى لهذا الغزو، فبعث بجيش نجح في استعادة غزة، غير أن أنطيوخس نجح في إلحاق هزيمة ساحقة بالجيش البطلمي عند بانيون بالقرب من نهر الأردن عام ٢٠٠ق.م. وفقدت مصر بذلك فينيقيا وجوف سوريا إلى الأبد. كما استولى فيليب الخامس على جزر الكيكلاديس، وما تبقى للبطالمة من أملاك عند مضيق البسفور، وفي إقليم تراقيا. وعلى أية حال يعتبر عام ٢٠٠ق.م، هو نهاية إمبراطورية البطالمة في الشرق الأدنى، والتي لم يتبقى لها سوى برقة وقبرص[١].

خريطة (٦) مملكة البطالمة في عام ٢٠٠ق.م[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٧٩.

[٢] https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Ptolemaic-Empire_200bc.jpg

٢. سياسته تجاه روما والدولة السليوقية

لما بلغ الملك بطلميوس الخامس سن الرشد عام ١٩٧ق.م، حاول تحسين علاقته مع السلوقيين، إذ تزوج من أميرة سليوقية هي كليوباترا الأولى وذلك في عام ١٩٣ق.م، أملًا في أن يكون مهر العروس عودة جنوب سوريا إلى مصر. وفي نفس الوقت حاول زيادة الصداقة مع روما، بهدف الحصول على حماية روما من أطماع فيليب الخامس وأنطيوخس الثالث. وذلك واضح من وصول سفارة رومانية إلى مصر عام ٢٠٠ق.م، لتبشر بطلميوس بهزيمة قرطاجة، وتشكره على مساعدة والده بطلميوس الرابع وتقديمه القمح لروما في الوقت المناسب، عندما أحرق هانيبال حقول القمح في إيطاليا. كما أن السفارة الرومانية رجته أن يبقى على وفائه لروما في حالة دخولها الحرب ضد فيليب الخامس ملك مقدونيا[١].

٣. أعماله الداخلية

استمرت الثورات المصرية منذ عهد فيلوباتور ضد الاحتلال البطلمي، وكان يقابلها مزيد من التنازلات لصالح المصريين من جانب السلطة المركزية، لتهدأت الثوار وكسب ود المصريين، ومن هذه التنازلات نذكر الأمثلة التالية[٢]:

- تتويج الملك حسب التقاليد الفرعونية في منف وليس في الإسكندرية.
- إلغاء بعض الضرائب وتخفيض بعضها
- وتنازل الدولة عن بعض الديون المتأخرة التي للخزانة على الأفراد.
- إصدار عفو شامل عن الجنود المصريين المنضمين إلى الثوار.
- السماح للمصريين بتولي المناصب العليا في الدولة والجيش.
- منح الكهنة المزيد من الامتيازات وازدياد مكانتهم.

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٨٠- ١٨١.
[٢] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٦٧.

ثانيًا: بطلميوس السادس (فيلوميتور)

توفي الملك إبيفانيس في عام ١٨٠ق.م، وتولى ابنه بطلميوس السادس العرش، وكان وقتها في السابعة من عمره، فتولت الوصاية عليه أمه الملكة كليوباترا الأولى، لذلك حمل لقب فيلوميتور بمعنى "المحب لأمه". ولقد ظلت العلاقات بين مصر والدولة السليوقية طيبة خلال وصاية الملكة كليوباترا. لكن بعد وفاة هذه الملكة في عام ١٧٦ق.م آلت الوصاية على الملك الصغير إلى اثنين من عبيد القصر المعتقين هما: يولايوس ولينايوس، اللذان استأنفا سياسة العداء للدولة السليوقية، أملًا في استعادة جوف سوريا. وعندما بلغ الملك الصغير سن الخامسة عشرة، تم تتويجه في منف عام ١٧٢ق.م، وكان قد تزوج من شقيقته كليوباترا الثانية، التي كانت أكبر منه سنًا[١].

شكل (١٢) بطلميوس السادس فيلوميتور (١٨٠- ١٤٥ق.م)

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٦٩، إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، جـ١، ٢٠١-٢٠٢.

١. الحرب السورية السادسة

في الدولة السليوقية في ذلك الوقت كان يتربع على العرش الملك أنطيوخس الرابع، الذي انشغل بالصراع مع اليهود. فرأى رجال القصر في الإسكندرية أن الفرصة سانحة أمامهم لاستعادة جوف سوريا، واخذوا في إعداد الجيش لهذا الغرض. وأصبحت الحرب السورية السادسة على الأبواب، وبادر كل طرف بإرسال بعثة إلى روما لتبرير موقفه، وإلقاء اللوم على الطرف الآخر؛ إلا أن روما لم تهتم بحل هذا الخلاف لأنها كانت تتأهب لخوض الحرب المقدونية الثالثة. وفي العام ١٧٠ق.م زحف أنطيوخس الرابع تجاه الحدود المصرية، فالتقى بالجيش البطلمي وتمكن من هزيمته. واستولى على بيلوزيوم، وتقدم نحو منف، وتقول بعض الآراء أنه توج في مصر فرعونًا. ومن منف أرسل في استدعاء الملك البطلمي، وأجبره على توقيع اتفاق يقبل فيه حماية أنطيوخس الرابع[١].

عندما علم السكندريون بأمر هذه الاتفاقية ثاروا ثورة عارمة على الوزيرين يولايوس وليناويوس، وأعلنوا الشقيق الأصغر لفيلوميتور، وهو بطلميوس الثامن ملكًا على مصر. وأخذوا يتأهبون للتصدي للملك أنطيوخس الرابع، إذا ما تقدم صوب الإسكندرية. وعندما علم أنطيوخس الرابع بما جرى في الإسكندرية قرر التوجه إليها لإعادة فيلوميتور إلى العرش. لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد قام اليهود بثورة في فلسطين، مما اضطر أنطيوخس إلى العدول عن خطته والانسحاب من مصر والاتجاه إلى فلسطين. وبذلك أصبح في مصر ملكان، الأول هو بطلميوس السادس فيلوميتور، والثاني هو بطلميوس الثامن. لكن نجحت الجهود في التوفيق بين الأخوين، واتفقا على أن يشتركا في الحكم سويًا، بغرض تفويت الفرصة على أنطيوخس في التدخل في شئون مصر[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٦٩-٧٠.

[٢] نفسه، ٧٠، وعن أنطيوخس الرابع راجع:

٢. سفارة بوبيليوس لايناس عام ١٦٨ق.م

بعد أن فرغ أنطيوخس الرابع من قمع ثورة اليهود، عاد إلى غزو مصر، بحجة مناصر فيلوميتور، وذلك في ربيع عام ١٦٨ق.م، بعد أن استولى على قبرص وهو في طريق إليها. ولما أخبره الأخوان إنهما قد تصالحا، طالب بعقد معاهدة يتنازلان فيها عن قبرص، وبيلوزيوم والمنطقة المجاورة لها القريبة من الفرع البيلوزي للنيل، حتى يؤمن جنوب سوريا من أي محاولة للاستيلاء عليها من جانب البطالمة. وقابل رجال البلاط والملكان ذلك المطلب بالرفض الكامل. عندئذ تقدم أنطيوخس الرابع صوب منف واستولى عليها، ومنها تقدم نحو الإسكندرية، وهو ما دفع الملكان إلى طلب التدخل من روما[١].

قامت روما بإرسال بعثة إلى أنطيوخس، برئاسة النبيل الروماني بوبيليوس لايناس، وحملته رسالة من السناتو الروماني إلى الملك السلوقي، يطلب منه الجلاء عن مصر فورًا، إذا أراد المحافظة على صداقة الشعب الروماني، وفي حالة رفضه لهذا الطلب فإنه يصبح في نظر الرومان عدوًا، مما يستوجب شن الحرب عليه. وقد جرت المقابلة بين السفير الروماني والملك السليوقي بالقرب من الإسكندرية. وعندما سلم بوبيليوس الرسالة إلى أنطيوخس، طلب أنطيوخس من السفير الروماني إمهاله لبعض الوقت للتشاور؛ لكن بوبيليوس باغته بتصرف في غاية الجرأة، إذ رسم بعصاه دائرة في الأرض حول أنطيوخس، وطلب منه ألا يخرج من هذه الدائرة قبل أن يعطيه ردًا على الرسالة. عندها لم يكن أمام أنطيوخس سوى الرضوخ، فمد يده مصافحًا بوبيليوس، إعلانًا عن رغبته في أن يظل صديقًا للرومان، وغادر مصر عائدًا إلى بلاده[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٨٧.

[٢] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٧٠-٧١، للمزيد عن علاقة مصر بالدولة السليوقية وروما راجع: منيرة الهمشري، دبلوماسية البطالمة في القرنين الثاني والأول ق.م، (القاهرة، ١٩٩٨م).

شكل (١٣) يوضح المقابلة بين بوبيليوس وأنطيوخس الرابع، وحادثة الدائرة[١]

٣. ثورة ديونيسيوس بيتوسيرابيس

أدى التدخل الروماني إلى إثارة شعب الإسكندرية، فقامت ثورة تزعمها أحد رجال القصر ويدعى ديونيسيوس بيتوسيرابيس، وطالب بطرد فيلوميتور وانفراد شقيقه بالحكم. وامتد لهيب الثورة إلى الوجه القبلي، مما اضطر فيلوميتور إلى التوجه بقواته إلى الجنوب لقمع الاضطرابات، ولما عاد إلى الإسكندرية وجد أن شقيقه دبر مؤامرة لإبعاده عن العرش، والانفراد بالسلطة، فهرب إلى روما، لكي يناشد الرومان مساعدته في استرداد حقه. وقرر السناتو الروماني التدخل في الخلاف على العرش البطلمي، واقترح تقسيم مملكة البطالمة بين الأخوين، وأن يستمر فيلوميتور ملكًا على مصر وقبرص، على أن يُمنح الشقيق الأصغر حكم قوريني (برقة)، لكي تكون مملكة خاصة به. ولم يدخر الأخوان وسعًا لإثبات

[١] https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Popilius_envoy%C3%A9_en_ambassade_aupr%C3%A8s_d%27Antiochus_Epiphane_pour_arr%C3%AAter_le_cours_de_ses_ravages_en_Egypte.jpg

ولائهما للرومان، ولا أدل على ذلك من تلك الوصية التي تركها الأخ الأصغر ملك برقة، والتي أوصى فيها أن تؤول مملكته إلى الرومان إذا مات دون وريث[١].

ثالثًا: بطلميوس الثامن (يورجيتيس الثاني)

بعد موت فيلوميتور تولى عرش مصر للمرة الثالثة ابنًا صغيرًا تحت وصاية أمه الملكة كليوباترا الثانية، وهو بطلميوس السابع. لم يبق بطلميوس السابع على العرش سوى أشهر قليلة، ريثما استطاع عمه بطلميوس حاكم برقة أن يعود إلى الإسكندرية، وأن يستولي على العرش، ويصبح الملك الثامن متخذًا لقب يورجيتيس الثاني. وبعد ذلك تزوج من اخته الكبرى كليوباترا أرملة أخيه فيلوميتور، وقتل ابنها بطلميوس السابع، بل بلغ من الاستهتار أنه اغتصب ابنتها الصغيرة، ثم تزوجها ولقبت بكليوباترا الثالثة. وقد قوبل هذا السلوك الشاذ بغضب الأهالي وسخطهم في الإسكندرية أولًا، ثم في سائر مصر بعد ذلك. وانفجرت ضد الملك ثورة عنيفة في عام ١٣١ق.م، فاضطر الملك إلى الفرار مع زوجته الصغيرة كليوباترا الثالثة إلى قبرص، ولم يتمكن من العودة إلا بمساعدة الرومان، وتمكن من القضاء على هذه الثورة في عام ١٢٧ق.م. عندها فرت كليوباترا الثانية إلى أنطاكية عاصمة السليوقيين[٢].

شكل (١٤) بطلميوس الثامن مصور على قطعة من العملة

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٧١.

[٢] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٨٩-٩٠.

١. وثيقة العفو العام ١١٨ق.م

حاول بطلميوس الثامن إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وإعادة الاستقرار للبلاد، ورأى أن تحسين الظروف المعيشية وتهيئة وتنقية الأجواء التي يعيش فيها الناس، من الممكن أن تبعث بالطمأنينة في نفوس الناس ومن ثم يقبلون على العمل والإنتاج، فأصدر مرسومًا من نوع يسمى بوثائق العفو العام، وأهم الإجراءات التي نص عليها هذا المرسوم هي[١]:

- العفو الشامل عن جميع الجرائم التي ارتكبت حتى تاريخ صدور الوثيقة في مارس عام ١١٨ق.م؛ باستثناء جرائم القتل وسرقة المعابد.
- تنازل الدولة عن معظم الضرائب والديون على المزارعين.
- منح المزارعين الذين يستصلحون الأراضي البور امتيازات كبيرة لعدة سنوات.
- احتفاظ المعابد بميزانية مالية حسب إيراداتها الفعلية.
- يحظر على الموظفين استغلال نفوذهم، أو أن يأخذوا شيئًا بغير وجه حق.
- منع استخدام وسائل العنف والتعذيب، التي كانت منتشرة في تقاضي حقوق الدولة من المزارعين والعمال.

توفي بطلميوس الثامن وهو في الخامسة والستين من عمره عام ١١٦ق.م تاركًا وصية أوصى فيها بأن يعين ابنه غير الشرعي بطلميوس أبيون حاكمًا على برقة، ولم يوص لأحد من أبنائه أن يخلفه على عرش مصر[٢].

رابعًا: بطلميوس التاسع (سوتير الثاني) وبطلميوس العاشر (الإسكندر الأول)

تولى أكبر أبناء بطلميوس الثامن من كليوباترا الثالثة، وهو بطلميوس التاسع، وأثناء حياة أبيه عينه حاكمًا على قبرص، وزوجه من أخته كليوباترا الرابعة، وفي عام ١١٦ق.م

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٧٥.
[٢] نفسه، ٧٦.

تولى العرش بالاشتراك مع أمه كليوباترا الثالثة؛ غير أن أمه لم تكن على وفاق معه، لقب نفسه باسم سوتير الثاني. غير أنه سرعان ما طلق اخته كليوباترا الرابعة، وتزوج من اخت أخرى له كانت تعرف باسم كليوباترا القمر، وهي كليوباترا الخامسة. وغادرت كليوباترا الرابعة إلى سوريا لتجمع لها جيشًا، غير أنها توفيت هناك. وفي عام ١١٠ق.م ضاقت الملكة الأم كليوباترا الثالثة بابنها سوتير الثاني لتصرفاته الغريبة، فأثارت عليه شعب الإسكندرية، واستدعت ابنها الأصغر الإسكندر الأول من قبرص ليتولى عرش البلاد. فر سوتير الثاني إلى قبرص وبقي هناك[١].

حكمت الملكة بعد فرار سوتير إلى قبرص مع ابنها بطلميوس العاشر منذ عام ١٠٧ق.م، غير أنه في عام ١٠١ق.م توفيت الملكة الأم، وانفرد بطلميوس العاشر بالعرش وحده؛ لكنه كان ضعيفًا متخاذلًا، فثار عليه شعب الإسكندرية واضطر إلى الهرب إلى سوريا، ومنها إلى قبرص حيث لقى حتفه هناك. ثم استدعى بطلميوس التاسع من منفاه لتولي العرش مرة أخرى، فتولاه عام ٨٨ق.م، وظل يحكم مصر وقبرص معًا حتى موته عام ٨٠ق.م. وتزوج من اخته برينيكي الثالثة عند عودته إلى مصر، غير أنه لم ينجب منهل أطفالًا، ولهذا بقيت برينيكي ملكة بمفردها على العرش بعد موت زوجها عام ٨٠ق.م[٢].

تنازل بطلميوس أبيون عن قوريني للرومان

كتب بطلميوس أبيون بن بطلميوس الثامن وصية يوصي فيها أن تؤول قوريني (برقة) إلى الشعب الروماني إذا مات دون وريث، ولما مات في عام ٩٦ق.م دون وريث أعلن السناتو الروماني قبول الوصية، وضم برقة عام ٩٦ق.م، ونظمها على شكل ولاية رومانية في عام ٧٤ق.م. وبذلك كانت قوريني أول ممتلكات البطالمة التي سقطت في يد الرومان[٣].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١٩٢- ١٩٣.
[٢] نفسه، ١٩٣.
[٣] نفسه، ١٩٤.

خامسًا: بطلميوس الحادي عشر (الإسكندر الثاني)

بعد وفاة سوتير الثاني، وانفراد برينيكي بالحكم، أصبح من الضروري البحث عن زوج لها، وأسفر البحث عن العثور على ابن لبطلميوس العاشر كان قد أنجبه من إحدى عشيقاته، ويعيش في روما، فتحمس الرومان لتوليه العرش، حتى يصبح عميلًا لهم، وسارعوا بإرساله إلى الإسكندرية، حيث تزوج برينيكي الثالثة. وتولى العرش حاملًا لقب الإسكندر الثاني، غير أن الملك سرعان ما تنكر لزوجته وقتلها، مما دفع الجماهير الغاضبة إلى الفتك بالملك، بعد عشرين يومًا فقط من توليه الحكم[١].

سادسًا: بطلميوس الثاني عشر (نيوس ديونيسوس)

بعد مقتل بطلميوس الحادي عشر في عام ٨٠ق.م، سنحت الفرصة لظهور المدعين بحقهم في عرش مصر، وكان للملك بطلميوس التاسع ابنان غير شرعيين عُين أحدها ملكًا على قبرص والآخر ملكًا على مصر، وهذا الملك الأخير هو بطلميوس الثاني عشر. اتخذ بطلميوس الثاني عشر لنفسه لقب ديونيسوس الجديد؛ إلا أن أهل الإسكندرية أطلقوا عليه لقب الزمار، لأنه يهوى العزف على المزمار، وتزوج من شقيقته كليوباترا السادسة. إلا أن الرومان رفضوا الاعتراف به ملكًا على مصر، وأشاعوا بأن بطلميوس الحادي عشر أوصى بأن تؤول مملكته للشعب الروماني. ولما كان بطلميوس الزمار ملكاً ضعيفًا، فقد سعى إلى الحصول على اعتراف الرومان بأي ثمن. وأخذ يدفع الرشاوي للحصول على هذا الاعتراف، ففي عام ٥٩ق.م عندما كان يوليوس قيصر يشغل منصب القنصل في روما، قدم له بطلميوس الزمار رشوة كبيرة، وعقد معه اتفاقًا يتضمن موافقة الرومان على الاعتراف به ملكًا على مصر، وصديقًا للشعب الروماني، دون أن يتضمن القرار إشارة إلى قبرص[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٧٥.
[٢] نفسه، ٧٦، محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٧٨.

وفي العام التالي ٥٨ق.م أعلنت روما رسميًا ضم جزيرة قبرص إلى ممتلكاتها، مما أدى إلى انتحار ملك قبرص، وهو شقيق بطلميوس الزمار. ونتج عن هذا أن قام شعب الإسكندرية بالثورة ضده، وطرده من المدينة. ففر الزمار إلى روما، لكي يطلب منهم إعادته إلى مصر، وراح يمني القادة الرومان بمكافآت سخية، إذا عاد للعرش. ولما تأخر الرومان في تقديم المساعدة له، قرر أن يلجأ إلى والي سوريا –سيطر الرومان على سوريا وحولوها إلى ولاية رومانية عام ٦٤ق.م– ووعده بمكافأة كبيرة، إذا أعاده إلى العرش. وفي عام ٥٥ق.م تمكن والي سوريا جابينيوس، من إعادته إلى العرش مرة أخرى[١].

سابعًا: كليوباترا السابعة

توفي بطلميوس الزمار عام ٥١ق.م تاركًا وصية أوصى فيها بأن يؤول العرش لابنته كليوباترا السابعة وأكبر أخويها، وأن تُشرف روما على تنفيذ وصيته. كان عمر كليوباترا يناهز السابعة عشرة عندما أصبحت هي وأخوها بطلميوس الثالث عشر شريكين في العرش، تحت إشراف زمرة من رجال القصر الفاسدين. وبعد مرور ثلاث سنوات تأزمت العلاقة بين كليوباترا ومستشاري أخيها، ويبدو أن سبب هذه الأزمة يكمن في تطلع كليوباترا في الاستقلال بالحكم. فأشاعوا عنها أنها تسعى للتخلص من أخيها للانفراد بالعرش. وثار عليها شعب الإسكندرية والجيش، فهربت إلى بيلوزيوم شرق الدلتا، وجمعت حولها جيشًا لمحاربة أخيها وحاشيته[٢].

١. كليوباترا ويوليوس قيصر

في هذا الوقت كان الصراع بين الحزب الجمهوري بقيادة بومبي، والحزب الديمقراطي بقيادة يوليوس قيصر، قد وصل إلى ذروته في روما. ووقعت بين الطرفين معركة فاصلة،

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٧٦-٧٧.
[٢] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٨٠-٨١.

هي معركة فارسالوس في عام ٤٨ق.م، التي انتصر فيها قيصر على بومبي. وفر بومبي إلى مصر، لكي يطلب معاونة صديقه بطلميوس الزمار، لكنه فوجئ بأن الزمار قد مات. وعندما نزل إلى الشاطئ تعرض للخيانة حيث اغتاله مرافقيه من الجنود الرومان، وقاموا بعد ذلك بقطع رأسه. وفي أكتوبر عام ٤٨ق.م وصل يوليوس قيصر إلى الإسكندرية في أثر عدوه، وعندما علم بموته حزن جدًا. وكان قيصر يعلم بالخلاف الواقع بين كليوباترا وأخيها فأعلن نفسه حكمًا في هذا الخلاف، تنفيذًا لوصية الزمار، التي تقضي بوضع أبناؤه تحت وصاية الرومان. فأرسل قيصر في استدعاء كليوباترا وشقيقها، وبينما حضر بطلميوس إلى الإسكندرية، فإن كليوباترا خشية على حياتها، اضطرت إلى الحضور متخفية، بعد أن حملها أحد أعوانها داخل سجادة وطلب مقابلة قيصر، وعندما انفرد به فتح السجادة فخرجت كليوباترا. وعلى الرغم من نجاح قيصر في التوفيق بين كليوباترا وبطلميوس؛ إلا أن الأوصياء على بطلميوس ساءهم هذا الصلح، فأخذوا في إثارة السكندريين ضد قيصر. وأصدروا الأوامر إلى الجيش بأن يزحف إلى الإسكندرية، فتحرج موقف قيصر الذي حوصر في الحي الملكي، واضطر إلى إحراق سفنه التي كانت ترسو في الميناء حتى لا يستولى عليها أعداؤه، وهو ما أدى إلى إحراق مكتبة الإسكندرية العظيمة[١].

وهكذا بدأت تلك الحرب المعروفة بحرب الإسكندرية، وكاد قيصر أن يلقى الهزيمة لو لم تنقذه الإمدادات من حلفائه في الشرق. وقد انتهت هذه الحرب عام ٤٧ق.م بانتصار قيصر. وموت بطلميوس الثالث وحسم قيصر مسألة العرش البطلمي، بأن أعلن كليوباترا ملكة على البلاد، على أن تتزوج من شقيقها الصبي الصغير بطلميوس الرابع عشر. وقضى يوليوس قيصر الشتاء في مصر، مستمتعًا بصحبة كليوباترا، وقاما معًا برحلة نيلية إلى صعيد مصر. ولما كانت الأحوال في روما تتطلب عودة قيصر على وجه السرعة، فإنه

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٧٨-٨٠.

اضطر للرحيل. وفي صيف عام ٤٧ق.م أثمرت علاقة قيصر بكليوباترا عن إنجاب ابنًا أطلقت عليه بطلميوس قيصر. إلا أن السكندريين سخروا من هذا الاسم وأطلقوا عليه قيصرون، ومعناه قيصر الصغير. وفي العام التالي أرسل قيصر لكليوباترا لكي تلحق به، فذهبت إلى روما ومعاه بطلميوس الرابع عشر وابنها قيصرون. وقد أثارت الحفاوة التي قابل بها يوليوس قيصر كليوباترا ثائرة الرومان، فراحوا ينسجون الأقاويل حول رغبة قيصر في إقامة ملكية على الطراز الشرقي، ونقل عاصمة الرومان إلى الإسكندرية بدلًا من روما. وهو ما جعل أنصار النظام الجمهوري يقومون باغتياله في قاعة السناتو في ١٥ مارس عام ٤٤ق.م[١].

شكل (١٤) كليوباترا السابعة

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٨٠-٨١.

٢. كليوباترا وماركوس أنطونيوس

أعقب مقتل قيصر حرب أهلية في روما، انتهت هذه الحرب عام ٤٢ق.م بانتصار أوكتافيوس وماركوس أنطونيوس، واقتسم القائدان أملاك الرومان فيما بينهما، فكانت الولايات الشرقية من نصيب ماركوس أنطونيوس والولايات الغربية من نصيب أوكتافيوس، وكانت مصر الدولة الوحيدة التي لم تدخل في فلك الولايات الرومانية. وعندما توجه أنطونيوس إلى الشرق أرسل إلى بعض القادة، لمعرفة موقفهم من الصراع بين قتلة قيصر وأنصاره، ومنهم كليوباترا. ونجحت كليوباترا في التأثير على أنطونيوس، وجذبه إلى جانبها أسيرًا لغرامها. وتعددت اللقاءات بينهما سواء في مصر أو خارجها، وأنجبت منه ثلاثة أبناء، ولدين وبنت. وفي عام ٣٥ق.م أعلن أنطونيوس طلاقه من زوجته أوكتافيا شقيقة أوكتافيوس، وأعلن شرعية علاقته بكليوباترا. وبعد ذلك أقدم أنطونيوس على خطوة لم تكن في حسبان أحد، فقد أقدم على تقسيم الولايات الشرقية بين أبناء كليوباترا. ووصفها بالملكة أم الملوك[١].

٣. موقعة أكتيوم ٣١ق.م

لم يسكت أوكتافيوس على أفعال أنطونيوس، وقاد حملة دعاية للتشهير به وبأفعاله، ونجح في تشويه صورته واعتباره خائن للرومان، وأخذ موافقة السناتو بشن الحرب ضده. وركز أوكتافيوس دعايته على أنه لا يحارب أنطونيوس المواطن الروماني، ولكنه يحارب كليوباترا الملكة الأجنبية. ودارت المعركة البحرية الفاصلة بينهما عند أكتيوم في غرب اليونان، في عام ٣١ق.م. وعندما لاحت في الأفق بوادر انتصار أوكتافيوس انسحبت كليوباترا إلى الإسكندرية، وتبعها أنطونيوس[٢].

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٨٣.

[٢] نفسه، ٨٣-٨٤.

وقد أشاعت كليوباترا أنها ماتت، فانتحر أنطونيوس، وحاولت كليوباترا التفاوض مع أوكتافيوس عندما زحف إلى مصر، ولما أدركت أنه مصمم على أسرها، ليسوقها في موكب نصره العظيم، انتحرت عن طريق حية الكوبرا، رمز الخلود عند المصريين. ودخل أوكتافيوس الإسكندرية في الأول من أغسطس عام ٣٠ق.م، حيث قتل قيصرون على الفور، وأسر باقي أبنائها، ثم أعلن ضم مصر إلى أملاك الشعب الروماني. وبذلك سقطت دولة البطالمة، وتحولت مصر إلى ولاية رومانية[١].

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ٢٠٣.

الفصل الخامس

المظاهر الحضارية لمصر في عصر البطالمة

أولًا: تكوين المجتمع

ثانيًا: النظم الاقتصادية

ثالثًا: الديانة

أهداف الفصل الخامس

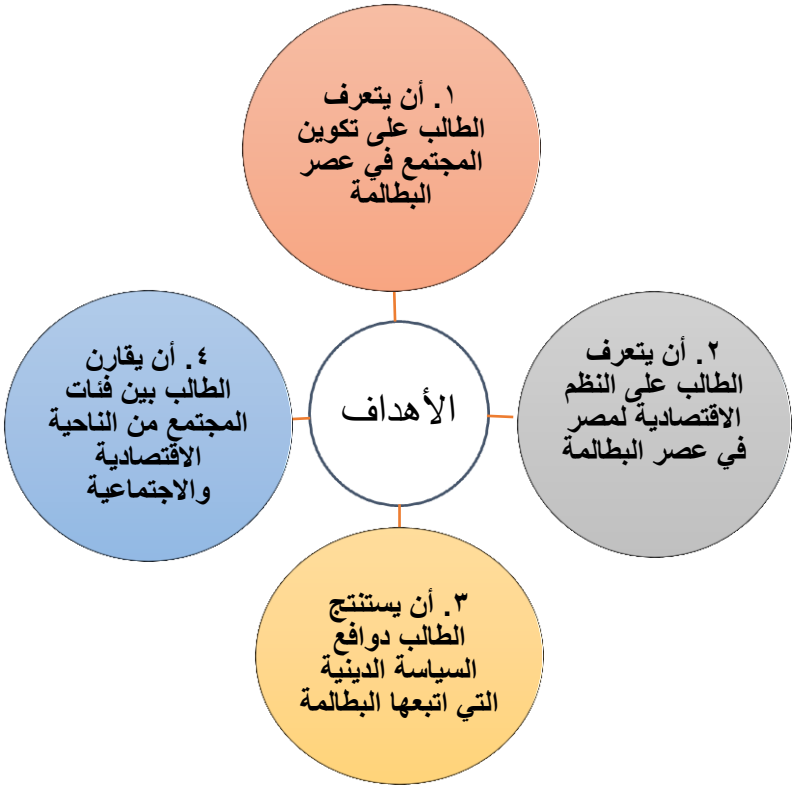

أولًا: تكوين المجتمع

ضم المجتمع المصري في العصر البطلمي خليطًا عجيبًا من الجاليات الأجنبية، الذين عاشوا جنبًا إلى جنب مع الأغلبية الساحقة من المصريين. كان المقدونيون والإغريق واليهود والسوريون والفينيقيون والليبيون وجماعات من شعوب آسيا الصغرى، من أهم الجاليات التي شكلت المجتمع في عصر البطالمة. وكان العنصران المصري والإغريقي هما أهم هذه العناصر، فالمصريون كانوا يشكلون القاعدة الأساسية للمجتمع المصري، والإغريق كانوا يشكلون القلة الحاكمة والعنصر الغالب في الجيش والإدارة[١].

وعليه نجد أن المجتمع المصري خلال عصر البطالمة تميز بتعدد القوميات، التي كان أهم عنصر فيها العنصر الإغريقي. ولتنظيم هذا الحشد من القوميات المختلفة، حتى يسهل الإشراف عليه والاستفادة منه جعل البطالمة العنصر الإغريقي متمركزًا في ثلاث مدن، هي الإسكندرية ونقراطيس وبطلمية. وهي مدن تتمتع بالاستقلال الذاتي من الناحية النظرية، لكن من الناحية العملية كانت تخضع لسلطة الملوك البطالمة. وكان الإغريق وغيرهم من الأجانب الذين استقروا خارج هذه المدن يعيشون في جاليات "البوليتيوما" لها نظمها الخاصة. أما سائر السكان من البقية الباقية من الإغريق والأجانب والأغلبية الساحقة من المصريين، فكانوا ينظمون حسب حرفهم[٢].

١. الإغريق

فتح البطالمة أبواب البلاد على مصرعيها أمام الإغريق، واختصوهم بالوظائف العليا، وأغدقوا عليهم الهبات السخية. ولما كان الإغريق يألفون العيش في ظل نظام المدن الحرة،

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٨٧-٨٨.

[٢] نفسه، ٨٨.

سكنهم البطالمة في ثلاث مدن، هي الإسكندرية ونقراطيس وبطلمية، وهي مدن ذات طابع إغريقي. ولم يقتصر وجودهم في مصر على المدن الإغريقية، بل انطلقوا في كافة أرجاء مصر، وأقيمت من أجلهم قرى جديدة في إقليم الفيوم، كما سكنوا القرى والمدن القديمة جنبًا إلى جنب مع المصريين. ونظرًا للمكانة التي يتمتع بها الإغريق، فإنهم كانوا يعاملون المصريين معاملة تتسم بالتعالي. لكن منذ عهد بطلميوس الرابع، أخذت الدولة في افساح المجال أمام المصريين لتولى وظائف أعلى؛ إلا أن ذلك لا يعني تحقيق المساواة بين الإغريق والمصريين. وقد أدى انقطاع قدوم الإغريق في الشطر الثاني من عصر البطالمة إلى تحقيق المزيد من التقارب بين المصريين والإغريق، وليس أدل على ذلك من تزايد حالات الزواج بين الطرفين. لكن هذا لم يكن يعني ذوبان الإغريق في الكتلة السكانية المصرية، فقد ظل الإغريق يعتزون بأصلهم[١].

٢. طبقة المحاربين

كان الجيش البطلمي يضم عناصر إغريقية مختلفة، فهناك الجند المقدونيين والكريتيين والكاريين وغيرهم. وكان البطالمة يمنحون هؤلاء الجند قطع من الأراضي، ليستقروا فيها ويستثمرونها وقت السلم. وكان الجند المنتمون إلى مدينة إغريقية معينة يقيمون معًا على هيئة جالية "بوليتيوما"، وانتشرت هذه الجاليات في الريف المصري. وكانت لكل جالية نظمها وقوانينها ونشاطاتها الاجتماعية والدينية الخاصة بها. وبالتالي كان هذا النظام يسمح بحصر الجند واستدعاء هؤلاء الجند بسهولة ويسر عند الطلب. وضمت البوليتيوما في البداية أبناء الجنس الواحد؛ لكن بمرور الوقت أصبحت تضم أفرادًا من عناصر أخرى[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٩٧-٩٨.

[٢] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٨٩-٩٠.

شكل (١٥) شاهد قبر لجندي بطلمي يرجع للقرن الثاني قبل الميلاد[١]

٣. اليهود

يرجع وجود اليهود في مصر إلى ما قبل العصر البطلمي، لكن منذ أن فتح الإسكندر مصر تقاطر اليهود إليها في أعداد كبيرة، استقرت في مواطن متفرقة، وخاصة في الإسكندرية حيث كونوا لهم جالية كبيرة سكنت الحي الرابع من أحياء الإسكندرية الخمسة والمسمى بحي دلتا. وسرعان ما ترك اليهود اللغة الآرامية واتخذوا اللغة اليونانية بدلًا منها. وكان أكبر مظهر لهذا التغيير هو ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية، حتى أن المراسيم الدينية اليهودية كانت تؤدى باللغة اليونانية. وبالتدريج يفقد اليهود في مصر أي صفة مميزة لهم عن الإغريق، فاتخذوا الزي اليوناني، وتسموا بأسماء إغريقية، وتحدثوا اللغة اليونانية. ونظرًا لكثرة اليهود العددية في مصر في العصر البطلمي، وتميزهم الديني الذي تمسكوا به دائمًا منحهم الملوك حق تكوين بوليتيوما، عن طريقها ينظمون شئونهم الخاصة، ويمارسون دينهم الخاص في حرية واستقلال[٢].

---

[١] https://www.pinterest.com.au/pin/510454939005805494/

[٢] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ١١٢-١١٣.

٤. المصريون

انقسم المصريون في العصر البطلمي إلى فئتين، فئة الموظفين المصريين، الذين كانوا يشغلون الوظائف الدنيا في الجهاز الإداري، مثل وظائف الكتبة، وهي وظائف كانت تدر عليهم دخلًا يكاد أن يكفي لسد الرمق، بالإضافة إلى بعض رجال الدين. والفئة الأخرى وتشمل ملايين المصريين، الذين كان يعمل غالبيتهم في مجال الزراعة، بينما عمل البعض منهم في مجال الصناعة والتجارة. وكانت هذه الفئة تعاني ضيق العيش، بسبب النظم الاقتصادية الجائرة التي طبقها البطالمة، والتي كان هدفها الأكبر توفير أكبر قدر من الدخل للملك، حتى يتمتع هو وحاشيته بأكبر قدر من الرفاهية، على حساب الغالبية المحرومة من الشعب[١].

وعلى الرغم من تلك الظروف القاهرة التي فُرضت على المصريين، فإنهم حافظوا على عاداتهم وقوانينهم، وظلوا يعبدون آلهتهم القديمة. واستمرت المعابد المصرية تؤدي دورها كخط الدفاع عن القومية المصرية، فكان يتم في داخلها تعليم اللغة المصرية، التي تمسك بها المصريون، وحتى الذين تعلموا اللغة اليونانية منهم، كان غرضهم الحصول على الوظائف في الإدارة البطلمية. وإذا كان التقارب بين الإغريق والمصريين بدا في الظاهر، فإن النفور ظل كامنًا في الأعماق، فقد ظل المصريون ينظرون إلى الإغريق نظرتهم إلى غرباء عن البلاد اغتصبوا حكمها، وسوف يأتي اليوم الذي سيتم فيه طردهم من البلاد[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٩٩.

[٢] نفسه، ٩٩- ١٠٠.

ثانيًا: النظم الاقتصادية

كان الأساس الذي استندت إليه النظم الاقتصادية في مصر خلال العصر البطلمي، هو اعتبار مصر ضيعة خاصة للملك. وطبقًا لهذا المفهوم فأن الملك هو الذي يملك أرض مصر وما عليها، ومن حقه أن يسخر جهود البشر فيما يراه صالحًا للبلاد. وكانت خزانة الدولة تسمى خزانة الملك، وكان وزير المالية يسمى ديويكيتيس (dioiketes)، وهو لقب يعني القائم على شئون الضيعة[١].

١. الزراعة

اهتم البطالمة بالزراعة باعتبارها الركيزة الأولى للاقتصاد المصري، فوجهوا اهتمامًا كبيرًا إلى إصلاح نظام الري وشق القنوات وإقامة الجسور. كما تم إدخال الميكنة في الزراعة والري، والعمل على تحسين الزراعة من خلال إدخال زراعات جديدة. وشهدت الثروة الحيوانية أيضًا تطورًا ملحوظًا[٢]. وكان لاهتمام البطالمة بالزراعة واستخدام الطرق العلمية في أعمال الري، نتائج عديدة منها[٣]:

- اتساع مساحة الرقعة الزراعية الصالحة للزراعة.
- وفرة المحاصيل التي أصبحت تجنى أكثر من مرة خلال العام.
- تنوع المحاصيل للنوع الواحد بعد إدخال أنواع جديدة، مثل القمح السوري، والفارسي.
- ازدهار زراعة الكروم والزيتون.
- إدخال زراعات جديدة، مثل زراعة التين والرمان والمشمش.
- التوسع في زراعة الورود والأزهار بأنواعها المختلفة.

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٩١-٩٢.

[٢] نفسه، ٩٥.

[٣] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ١٠١-١٠٢.

- التوسع في زراعة الأشجار المنتجة للأخشاب اللازمة لصناعة السفن.

وفيما يتعلق بالثروة الحيوانية، فمن مظاهر اهتمام البطالمة بها[١]:

- استيراد سلالات جديدة من الحيوانات، خاصة الأغنام ذات أصواف أجود من الأصواف المحلية، بغرض تحسين السلالات المحلية.
- إدخال حيوانات جديدة على البيئة المصرية مثل الجمال.
- الاهتمام بتربية النحل
- الاهتمام بتربية الخنازير على نطاق واسع، حيث كان الإغريق يُقبلون على تناولها[٢].

٢. الصناعة

إذا كان الملك البطلمي اعتبر نفسه الزارع الأول في مجال الزراعة، فقد اعتبر نفسه أيضًا الصانع الأول في مجال الصناعة. وانطلاقًا من هذه الفكرة مارست الحكومة سياسة الاحتكار الكلي في بعض الصناعات، واكتفت بالتدخل المباشر في صناعات أخرى. فقد احتكرت الدولة بشكل كامل صناعة الزيوت، وكانت تُعد من أهم الصناعات، حيث يجرى استخراج زيت الزيتون والسمسم والخروع، وهي مواد ضرورية لحياة الناس. كما اشتهرت مصر بصناعة المنسوجات، وعلى رأسها نسيج الكتان، وقد احتكرت الدولة صناعة نسيج الكتان احتكارًا كليًا. أما صناعة المنسوجات الصوفية، فكانت تتمتع بقدر أكبر من الحرية، فلم تحتكرها الدولة احتكارًا كاملًا؛ بل سمحت للأفراد بإنتاج المنسوجات الصوفية، مقابل خدمات يؤدونها للدولة. كما ازدهرت في مصر صناعات أخرى كثيرة، مثل صناعة الورق من نبات البردي، وصناعة الزجاج والخمور والعطور والحلي والأحجار الكريمة[٣].

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ١٠٢.

[٢] عن الخنازير في مصر خلال العصر البطلمي راجع: رضا عبد الجواد رسلان، الخنازير في مصر البطلمية والرومانية في ضوء الوثائق البردية، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع ٢١، (١٩٩٧م)، ٢٩١- ٣١٨.

[٣] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٩٥-٩٦.

٣. التجارة

في مجال التجارة الداخلية أحكمت الدولة رقابتها على الأسواق، وتدخلت في تحديد أسعار السلع، وبخاصة تلك التي كانت تخضع لسياسة الاحتكار. كما انتعشت تجارة مصر الخارجية، وأصبحت الإسكندرية من أهم المراكز التجارية في العالم، فضلًا عن العديد من الموانئ على البحر الأحمر. كما قامت مصر بدور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب[١].

ثالثًا: الديانة

حرص البطالمة على احترامهم للديانة المصرية، وكان الإسكندر قد بادر فور دخوله إلى مصر بتقديم القرابين للآلهة المصرية، وحذا بطلميوس الأول حذوه، فقدم القرابين للآلهة المصرية، وقام بإعادة تماثيل الآلهة المصرية، التي كان الفرس قد استولوا عليها، أثناء احتلالهم مصر. واهتم البطالمة جميعًا بإنشاء المعابد المصرية، مثل معبد الإله حورس في إدفو، ومعبد حورس وسوبك في كوم أمبو، ومعبد إيزيس في فيلة، وهي معابد تقع جميعها في صعيد مصر، ومنحوا تلك المعابد العطايا والأراضي. وقد تمتع الكهنة المصريين بمكانة رفيعة في البلاد، وعلى الرغم من محاولة البطالمة منذ البداية إظهار احترامهم لهؤلاء الكهنة؛ إلا أنهم كانوا يخشون من زيادة نفوذهم، لذلك حرصوا على أن يتحصر دور رجال الدين في ممارسة الشعائر، وأن يكونوا تحت رقابة رجال الملك. فقامت الدولة بتعيين موظفين مدنيين لمراقبة النشاط الاقتصادي في المعابد. ومن ناحيتهم حرص الكهنة على إظهار ولائهم للملوك. وإذا كان البطالمة الأوائل، قد تمكنوا من تحجيم دور الكهنة، فإن الشطر الثاني من عصر البطالمة شهد حصول الكهنة على المزيد من المكاسب، كنتيجة لضعف السلطة المركزية، وحرصها على إرضاء الكهنة[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٩٧.
[٢] نفسه، ٨٧-٨٨.

١. عبادة الملوك

أمر بطلميوس الأول بتقديس الإسكندر الأكبر رسميًا، وعين له كاهنًا خاصًا تؤرخ باسمه الوثائق الرسمية، وأصبحت عبادة الإسكندر عبادة رسمية في عصر البطالمة. وكانت مسألة تقديس الملك وعبادته بعد موته من العادات اليونانية القديمة، وكانت عادة تمارس من قبل الأشخاص العاديين لإضفاء نوع من القداسة على أرواح الرجال العظماء بعد موتهم[١]. وتمت عبادة الإسكندر تحت اسم "الإسكندر آمون"، وكان مقر هذه العبادة في أول الأمر في المعبد الجنائزي الذي دفن فيه الإسكندر في منف، قبل الانتهاء من بناء ضريح "السوما" في الإسكندرية ونقله إليه[٢].

٢. عبادة أسرة البطالمة

أسس بطلميوس الثاني عبادة الأسرة المالكة وألحقها بعبادة الإسكندر آمون، فبعد وفاة والده أعلن تأليه والده وأمه، ثم أقبل على تأليه نفسه وزوجته أرسينوي الثانية في حياتهما تحت لقب فيلادلفوس (المحب لأخته والمحبة لأخيها). وأصبح كل ملك يرتقي العرش يتمتع بهذه المكانة، ويحمل لقبًا إلهيًا[٣].

٣. عبادة سيرابيس

ابتدع بطلميوس الأول عبادة جديدة لتكون وسيلة ربط بين المصريين والإغريق، وبالتالي الوحدة السياسية للدولة. وطُورت هذه العبادة من عبادة مصرية تجمع بين أوزيريس إله العالم الآخر، وآبيس الثور أو العجل المقدس الذي عبده المصريون. وكان الثور آبيس بعد موته يتحول إلى صورة مطابقة لأوزيريس، أي يتحول إلى "أوزيريس آبيس"، ومنه جاءت

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٤٨- ٤٩.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ١١٨ -١١٩.

[٣] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٥٥.

التسمية سيرابيس، وتم تصويره في شكل أدمي في صورة الإله زيوس كبير الآلهة عند الإغريق. وتركزت عبادته في منف والإسكندرية، حيث عُبد في منف وفقًا للطقوس المصرية، وعُبد في الإسكندرية وفقًا للطقوس الإغريقية[١]. وقد فشلت هذه الديانة في تحقيق الهدف المنشود منها، وهو التقريب بين المصريين والإغريق، فقد ظل كل طرف يتعامل مع الديانة الجديدة على باعتبارها امتدادًا لديانته القديمة[٢].

شكل (١٦) الإله سيرابيس

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٤٧-٤٨.

[٢] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٩١.

القسم الثاني
مصر في العصر الروماني

الفصل السادس
العلاقات المصرية الرومانية قبل أكتيوم

أولًا: مرحلة توازن القوى

ثانيًا: مرحلة التدخل السياسي

ثالثًا: مرحلة التدخل العسكري

أهداف الفصل السادس

مقدمة

لم تكن موقعة أكتيوم عام ٣١ق.م، هي بداية العلاقات المصرية الرومانية، فقد مرت العلاقات بين مصر وروما خلال العصر البطلمي بثلاث مراحل هي[١]:

المرحلة الأولى: كانت فيها العلاقات متوازنة بين الطرفين، حيث كانت مصر دولة قوية لها مكانتها الدولية، بينما كانت روما دولة ناهضة.

المرحلة الثانية: شهدت هذه المرحلة بداية التدخل الروماني في شئون مصر الداخلية، بعد أن أخذت عوامل الضعف تدب في أوصال دولة البطالمة.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة الهيمنة الرومانية على مصر، وفي هذه المرحلة كانت مصر دولة ضعيفة، بينما تحولت روما إلى قوة عالمية، وهي المرحلة التي انتهت بتحويل مصر إلى ولاية رومانية.

أولًا: مرحلة توازن القوى (الصداقة)

تعود أول أخبار العلاقات بين مصر وروما إلى عهد بطلميوس الثاني (فيلادلفوس)، الذي يعتبر عهده أزهي فترة خلال العصر البطلمي. وقد بدأ الدور الأول من هذه المرحلة عندما أرسلت مصر إلى روما في عام ٢٧٣ق.م سفارة، فجاءت من روما سفارة إلى مصر في نفس العام. وما يزال الغرض الحقيقي من هذه السفارات مثار خلاف بين الباحثين، إذ

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ١٣٨.

يرى فريق منهم انها كانت ترمي إلى تدعيم أواصر الصداقة بين بلدين، أحدهما بدأ نجمه يسطع في الأفق الدولي، بينما اشتهر الآخر بأنه أغنى مستودع للقمح في العلم خلال تلك الفترة. وفي رأي فريق آخر أنها كانت ترمي إلى تنمية العلاقات التجارية بين مصر والجمهورية الرومانية. وفريق ثالث يذهب إلى أن القصد منها، هو عقد محالفة سياسية بين الدولتين. وقد لا حظ بعض علماء المسكوكات أن مجموعة من النقود الرومانية من فئة الدراخمتين، التي ضُربت في عام ٢٦٩ق.م (المتداولة في كمبانيا)، تحمل شبهًا كبيرًا لمجموعة من النقود البطلمية من فئة العشرة دراخمات التي ضُربت بمناسبة وفاة أرسينوي الثانية في عام ٢٧٠ق.م. هذا الشبه إلى جانب اعتبارات أخرى يرجح الرأي القائل بأن الهدف من تلك الاتصالات، كان عقد معاهدة اقتصادية، وأن الظروف السياسة هي التي أملتها[١].

وفي عام ٢٦٤ق.م أثناء الحرب البونية الأولى بين روما وقرطاجة، طلبت قرطاجة مساعدات مالية من فيلادلفوس، ورفض فيلادلفوس تقديم المساعدة؛ لإنه لم يشأ أن يتورط في هذه الحرب الكبرى، وفضل أن يبقى على الحياد بين الطرفين، وعرض تقديم المساعدة إذا لزم الأمر. وهذا التصرف من جانب مصر يوضح أن علاقتها مع روما كانت طيبة لذلك لم تساند غريمتها. كما نجد بردية ترجع إلى عام ٢٥٢/ ٢٥١ق.م –أي إلى عهد بطلميوس فيلادلفوس أيضًا– تشير إلى أن شخصًا رومانيًا قد عمل جنديًا في جيش بطلميوس فيلادلفوس، وهذا دليلًا على أن العلاقات بين مصر وروما قد اتخذت مظهرًا سياسيًا فضلًا عن العلاقات الاقتصادية[٢].

---

[١] عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، (القاهرة، ١٩٨٨م)، ٢.

[٢] منيرة الهمشري، دبلوماسية البطالمة في القرنين الثاني والأول ق.م، (القاهرة، ١٩٩٨م)، ٧٣.

وفي نهاية عهد بطلميوس الرابع فيلوباتور (٢٢١ -٢٠٣ق.م) أرسلت روما فيما بين عامي ٢١٥-٢١٠ق.م في طلب المساعدة من مصر، وكانت هذه أول سفارة موثوق بها، ويذكرها المؤرخ الروماني بوليبيوس حيث يقول: "أرسل الرومان مبعوثين إلى بطلميوس ليطلبوا إمدادات من القمح". وكانت في ذلك الوقت الحرب البونية الثانية (٢١٨ -٢٠٢ق.م) دائرة بين روما وقرطاجة، وكان هانيبال مكتسحًا الأراضي الإيطالية، ومن المحتمل أن جيوشه قد خربت الأراضي ودمرت المحاصيل في إيطاليا، لذلك اجتاحتها المجاعة فأرسلت تطلب إمدادات القمح من مصر. ومن المرجح أن بطلميوس فيلوباتور قد أجاب روما إلى طلبها، لإننا نجد أن روما بعد الانتهاء من تلك الحرب ترسل سفارة إلى مصر لشكرها على مساعدتها لها في حربها ضد هانيبال[١].

وقد وصلت السفارة إلى مصر عام ٢٠٠ق.م في عهد بطلميوس الخامس، فقد أرسل الرومان إلى ملك مصر سفارة من ثلاثة أعضاء هم: جايوس كلاوديوس نيرون، ماركوس ايميليوس ليبيدوس، وسيمبرونيوس توديتانوس، ليعلموه بنبأ هزيمة هانيبال، وليشكروه على ولائه الذي لم يتزعزع في الوقت العصيب الذي تخلى فيه عن الرومان أوثق حلفائهم، راجين منه أن يظل على ولائه القديم للشعب الروماني، إذا ما حدث أن أعلن الرومان الحرب على فيليب الخامس (ملك مقدونيا)، بسبب الاساءات التي لحقت بهم على يديه[٢].

ولم يلبث بطلميوس الخامس إبيفانيس أن أوفد إلى روما سفارة لتعلن باسمه "أن الأثينيين قد سألوه المعونة ضد فيليب، لكنه لم يرسل أية معونة إلى بلاد الإغريق، على الرغم من أن أثينا حليف له وللرومان، ولن يرسل أسطوله أو جيشه إلى أثينا للدفاع أو

---

[١] منيرة الهمشري، دبلوماسية البطالمة، ٧٣-٧٤.

[٢] رجب سلامة عمران، الفكر العسكري الروماني بين الدفاع والهجوم والتوسع والاستعمار حتى نهاية العصر الجمهوري (٥٠٩- ٣١ق.م)، (القاهرة، ٢٠١٠م)، ١٨١- ١٨٢.

الهجوم دون موافقة الشعب الروماني، فإذا شاء الرومان الدفاع عن حلفائهم، فسيبقى في مملكته ساكنًا، أما إذا آثروا ألا يتخذوا أية خطوة، فإنه على استعداد على لأن يرسل قوات في وسعها أن تحمي أثينا من عدوان فيليب. وقد شكر السناتو الملك البطلمي وأبلغ السفراء أن الشعب الروماني قد اعتزم حماية حلفائه، فإن احتاجوا إلى المعونة في تلك الحرب، فسوف يُخبرون بطلميوس لثقتهم بأنه في وسعهم دائمًا الاعتماد على موارد مملكته لسد حاجات الجمهورية[١]. ورغم ما يكتنف هاتين الروايتين من شك، فليس في الاستطاعة إغفالهما تمامًا، بل ينبغي اتخاذهما قرينة على أن مصر قدمت لروما أثناء حربها ضد هانيبال مساعدات نقدية أو عينية وفقًا لتفاهم ضمني أو صريح، وأن ثمة اتفاقًا كان قائمًا بينهما منذ عهد فيلادلفوس القصد منه فيما يبدو حفظ التوازن السياسي في بلاد الإغريق[٢].

وقد ارتبطت بالسفارة التي أرسلتها روما عام ٢٠٠ق.م إشاعة تم الترويج لها في روما، فحواها أن بطلميوس الرابع قد طلب من روما أن تتولى الوصاية على ابنه الطفل، وقد ادعى ماركوس ايميليوس ليبيدوس، الذي كان رئيسًا لهذه السفارة أنه أقام من نفسه وصيًا على هذا الطفل، لكن هذه الرواية تفتقد إلى التأكيد أو حتى مجرد الذكر العابر في كتابات المؤرخين الموثوق بهم مثل بوليبيوس وليفيوس، اللذان أخبرانا عن هذه السفارة دون التلميح لمثل هذا الأمر. غير أن هناك إحدى العملات التي سكها أحد أحفاد ليبيدوس، وهي عبارة عن دينار نادر من الفضة نُقش على أحد وجهيه "ماركوس ليبيدوس الكاهن الأعظم الوصي على الملك". ويظهر ليبيدوس واقفًا مرتديًا العباءة الرومانية المعروفة "توجا"، وهو يضع تاجًا فوق راس ملك صبي واقف أمامه، ويرتدي زيًا مشابهًا، ويحمل رمحا في يده اليمنى، أما على الوجه الآخر فنجد كلمة الإسكندرية مع رأس امرأة[٣] انظر (شكل١).

---

[١] رجب سلامة عمران، الفكر العسكري الروماني، ١٨٢-١٨٣.
[٢] عبد اللطيف احمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، ٥.
[٣] رجب سلامة عمران، الفكر العسكري الروماني، ١٨٣.

شكل (١) دينار من الفضة يُصور وصاية ليبيدوس على بطلميوس الخامس[١]

وعلى الرغم من وجود هذه العملة، إلا أن وصاية ليبيدوس على الملك الصغير بطلميوس الخامس، يُعتبر أمرًا مستبعدًا ومشكوكًا في صحته، وذلك لعدة أسباب هي[٢]:

١. عدو وجود أي ذكر لهذه الوصاية في المصادر الموثوق في صحة أخبارها، مثل ليفيوس أو بوليبيوس.

٢. لم تكن روما في ذلك الوقت القوة الجبارة المتفردة، بل كانت لا تزال هناك مقدونيا والدولة السليوقية، لذلك فمن غير الجائز أن يعتمد البطالمة على قوة لا تزال ناشئة، ويهملون القوى الكبيرة التي كانت تنتمي لهم –أي تنتمي لنفس عرق أو أصل البطالمة.

٣. كذلك لم تصل مصر خلال هذه المرحلة إلى هذه الدرجة من الضعف، التي تتطلب وضع الوصاية على الملك في يد روما، إلى جانب وجود كثير من القادة في البلاط البطلمي ممن يستطيعون تولي أمر الوصاية على الملك.

---

[١] نقلًا عن: رجب سلامة عمران، الفكر العسكري الروماني، ١٨٤.

[٢] نفسه، ١٨٤.

ثانيًا: مرحلة التدخل السياسي (الوصاية على مصر)

لم يأت القرن الثاني قبل الميلاد، حتى كانت العلاقات المصرية الرومانية قد انتقلت إلى طور جديد، هو طور التدخل السياسي من جانب الرومان في شئون البطالمة. وكانت روما في تلك الأثناء قد ازدادت قوة، بينما ازدادت مصر ضعفًا، حتى طمع في ممتلكاتها الخارجية كل من فيليب الخامس ملك مقدونيا، وأنطيوخس الثالث الملك السليوقي، وقيل إن معاهدة سرية عقدت بينهما لاقتسام هذه الممتلكات. وهكذا سنحت لروما فرصة التدخل في شئون مصر متذرعة بحجة حمايتها من عدوان الملكين، وإن كان الباعث الحقيقي هو حرصها على مبدأ توازن القوى في منطقة الشرق الهيللينستي، ومما لا شك فيه أن قيام أنطيوخس الثالث بانتزاع إقليم جوف سوريا من مصر يُعد إخلالًا بهذا المبدأ[١].

وعلى الرغم من الضربة القاصمة التي وجهتها روما للدولة السليوقية عام ١٨٩ق.م في موقعة ما جنيسيا، وإجبارها على توقيع صلح أباميا عام ١٨٨ق.م، وهو الصلح الذي جعل لروما الكلمة العليا في العالم الهيللينستي، فإن أطماع الملوك السليوقيين في مصر لم تتوقف ففي عام ١٧٠ق.م قام أنطيوخس الرابع بغزو مصر، إلا أن الاضطرابات التي أثارها اليهود في فلسطين اضطرته إلى الانسحاب من مصر. ثم لم يلبث أن عاود غزوها مرة أخرى في عام ١٦٨ق.م، وكانت الحجة التي تذرع بها أنطيوخس الرابع لغزو مصر، هي المحافظة على حقوق الملك البطلمي بطلميوس فيلوميتور ابن شقيقته كليوباترا الأولى. لكن ما يفضح نواياه الحقيقية هو قيامه بتنصيب نفسه فرعونًا في منف، ومواصلته السير نحو الإسكندرية ومحاصرتها، وهو ما جعل الملك البطلمي وشقيقه يستنجدان بالرومان لإخراجه من مصر، وبالفعل أجبر الرومان الملك السليوقي على الخروج من مصر بطريقة مهينة[٢].

---

[١] عبد اللطيف احمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، ٦-٧.

[٢] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٤٠-١٤١.

قامت روما بإرسال بعثة إلى أنطيوخس، برئاسة النبيل الروماني بوبيليوس لايناس، وحملته رسالة من السناتو إلى الملك السلوقي، يطلب منه الجلاء عن مصر فورًا، إذا أراد المحافظة على صداقة الشعب الروماني، وفي حالة رفضه لهذا الطلب فإنه يصبح في نظر الرومان عدوًا، مما يستوجب شن الحرب عليه. وقد جرت المقابلة بين السفير الروماني والملك السليوقي بالقرب من الإسكندرية. وعندما سلم بوبيليوس الرسالة إلى أنطيوخس، طلب أنطيوخس منه إمهاله لبعض الوقت للتشاور؛ لكن بوبيليوس باغته بتصرف في غاية الجرأة، إذ رسم بعصاه دائرة في الأرض حول أنطيوخس، وطلب منه ألا يخرج من هذه الدائرة قبل أن يعطيه ردًا على الرسالة. عندها لم يكن أمام أنطيوخس سوى الرضوخ، فمد يده مصافحًا بوبيليوس، إعلانًا عن رغبته في أن يظل صديقًا للرومان، وغادر مصر عائدًا إلى بلاده[١].

إذا كانت دائرة بوبيليوس قد أنقذت مصر من الاحتلال السليوقي، فإنها أوقعتها في خطر أشد، وهو التسلط الروماني. فقد انتقلت العلاقة بين مصر وروما إلى طور جديد، ونصب الرومان من أنفسهم أوصياء على مصر، وأعطوا لأنفسهم الحق في التدخل في شئونها الداخلية. وقد ساعدهم على ذلك الظروف الداخلية في مصر، وعلى رأسها الصراعات بين أبناء البيت المالك. فقد صارت روما هي الملاذ الذي يحتمي به أبناء البيت المالك كلما واجهتهم مشكلة. فعندما استغل بطلميوس الثامن فرصة انشغال شقيقه فيلوميتور في قمع ثورة قامت في جنوب مصر، ودبر مؤامرة لإبعاده عن العرش، هرب فيلوميتور إلى روما، لكي يناشد الرومان مساعدته في استرداد حقه. وقرر السناتو الروماني التدخل في الخلاف على العرش البطلمي، واقترح تقسيم مملكة البطالمة بين الأخوين، وأن يستمر فيلوميتور ملكًا على مصر وقبرص، على أن يُمنح الشقيق الأصغر حكم برقة. ولم يدخر

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٧٠-٧١.

الأخوان وسعًا لإثبات ولائهما للرومان، ولا أدل على ذلك من تلك الوصية التي تركها الأخ الأصغر ملك برقة، والتي أوصى فيها أن تؤول مملكته إلى الرومان إذا مات دون وريث[١].

لم يتم تنفيذ هذه الوصية، لأن بطلميوس الصغير –بطلميوس الثامن– تولى عرش مصر بعمد موت أخيه فيلوميتور في عام ١٤٥ق.م، فأورث برقة لابنه بطلميوس أبيون، الذي أنجبه من إحدى محظياته، غير أن هذا الابن غير الشرعي عاد في سنة ٩٦ق.م، وأوصى قبيل وفاته بأن تؤول مملكته للشعب الروماني، وقبل السناتو التركة، ولكنه لم يضع يده إلا على الأراضي الملكية، تاركًا المدن تتمتع باستقلالها، ولما أدى ذلك إلى انتشار الفوضى في برقة، نظمها السناتو على شكل ولاية رومانية في عام ٧٤ق.م[٢].

بعد أن جلس على عرش مصر صنيعة الرومان وخادمهم المُطيع بطلميوس الثامن، ازداد اهتمام الرومان بمصر، فاخذ الساسة الرومان يتقاطرون على الإسكندرية، في زيارات ظاهرها توطيد أواصر الصداقة بين البلدين، وباطنها التعرف على أحوال مصر الداخلية. فقد شهد عام ١٤٠/١٣٩ق.م وصول بعثة رومانية على رأسها القائد الشهير سكيبيو ايميليانوس، الذي دمر قرطاجة في الحرب البونية الثالثة، وخلافًا لقواعد البروتوكول سارع الملك البطلمي باستقبال القائد الروماني في الميناء، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على المكانة العالية التي أصبحت للرومان في مصر. وكان بطلميوس الثامن من ناحيته حريصًا كل الحرص على استرضاء الرومان، حيث كان يعول كثيرًا على دعمهم له في البقاء على العرش، لأنه كان يعلم مدى كراهية الشعب له. ومنذ ذلك الوقت تواصلت زيارات الساسة الرومان لمصر، وقد حرص رجال الإدارة في الإسكندرية على توفير سبل الراحة لهؤلاء الزوار[٣].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٧١، ١٤١.
[٢] عبد اللطيف احمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، ٦-٧.
[٣] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٤٥.

ثالثًا: مرحلة التدخل العسكري

تُعد هذه المرحلة، هي المرحلة الأخيرة في العلاقات بين مصر وروما، والتي انتهت بسقوط دولة البطالمة، واستيلاء الرومان على مصر، والتي مارس فيها الرومان هيمنة كاملة على شئون مصر. فبعد أن تولى بطلميوس الثاني عشر –المعروف بالزمار– عرش مصر في عام ٨٠ق.م، رفض الرومان الاعتراف به، وادعوا أن بطلميوس الحادي عشر أوصى بأن تؤول مملكته للشعب الروماني، وهي وصية مختلقة وليس لها أساس من الواقع. ولما كان بطلميوس الزمار أضعف من أن يواجه الرومان، فإنه أخذ يعمل على كسب رضاهم، والحصول على اعترافهم بأي شكل، ولجأ في سبيل ذلك إلى وسائل مهينة[١].

وعلى الجانب الآخر نجد أن محاولات الرومان الرامية إلى الاستيلاء على مصر لم تتوقف، وأصبحت هذه المسألة تحتل جانبًا مهمًا من الصراع الحزبي في روما. ففي عام ٦٥ق.م تقدم كراسوس بمشروع يقضي بفرض جزية سنوية على مصر، بحجة أن ملكها الحالي خالف وصية الملك السابق، الذي أوصى بالمملكة للرومان. لكن هذا المشروع لم يُقدر له النجاح، بسبب معارضة الخطيب شيشيرون، الذي رأى أن نجاح كراسوس في تمرير هذا القانون يُعد انتصارًا للحزب الديمقراطي. وفي العام التالي أوعز كراسوس إلى أحد نقباء العامة بتقديم مشروع يقضي بضم مصر إلى ممتلكات الرومان، وكان مصير هذا المشروع مثل سابقه. وعليه فإن مصير العرش البطلمي أصبح معلقًا بما يدور في أروقة السياسة الرومانية[٢].

وقد حصل الزمار على اعتراف رسمي بحقه في حكم مصر، ولقب بصديق وحليف الشعب الروماني، بعد أن دفع لأعضاء الائتلاف الثلاثي (كراسوس وبومبي وقيصر) رشوة

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٤٧–١٤٨.

[٢] نفسه، ١٤٨.

ضخمة بلغت حولي ستة آلاف تالينت (وهو ما يعادل نصف دخل مصر). زيادة على هذا فقد تنازل الزمار عن قبرص للرومان، وتم تحويلها إلى ولاية رومانية في عام ٥٨ق.م. وقد كان وقع قرار ضم قبرص لروما سيئًا للغاية على أخي الزمار ملك قبرص، الذي انتحر. أما عن وقع القرار على السكندريين، فقد ثاروا على بطلميوس الزمار لتفريطه في قبرص وتعسفه معهم، وأرغموه على الفرار من المدينة، حيث فر هاربًا إلى روما[١]. وطلب من الرومان إعادته إلى مصر، وراح يمني القادة الرومان بمكافآت سخية. ولما تأخر الرومان في تقديم المساعدة له، قرر أن يلجأ إلى والي سوريا ووعده بمكافأة كبيرة، إذا أعاده إلى العرش. وفي عام ٥٥ق.م اقتحم الوالي السوري جابينيوس مصر، وتمكن من إعادة الزمار إلى العرش مرة أخرى[٢].

لم تلبث مصر أن تعرضت مرة أخرى للتدخل المسلح من جانب الرومان بعد وفاة بطلميوس الزمار في عام ٥١ق.م. وكان قد أوصى بعرشه لكبرى بناته كليوباترا السابعة، وأكبر أبنائه بطلميوس الثالث عشر، الذي كان أصغر من أخته. وقد أرسل إلى روما صورة من وصيته ناشد فيها الشعب الروماني مراعاة تنفيذها وحماية ابنيه[٣]. وبعد مرور ثلاث سنوات تأزمت العلاقة بين كليوباترا ومستشاري أخيها بطلميوس الثالث عشر، ويبدو أن سبب هذه الأزمة يكمن في تطلع كليوباترا في الاستقلال بالحكم. فأشاعوا عنها أنها تسعى للتخلص من أخيها للانفراد بالعرش. وثار عليها شعب الإسكندرية والجيش، فهربت إلى بيلوزيوم شرق الدلتا، وجمعت حولها جيشًا لمحاربة أخيها وحاشيته[٤].

---

[١] رجب سلامة عمران، الفكر العسكري الروماني، ١٩٩.

[٢] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٧٦-٧٧.

[٣] عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، ١٦.

[٤] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٨٠-٨١.

في هذا الوقت كان الصراع بين الحزب الجمهوري بقيادة بومبي، والحزب الديمقراطي بقيادة يوليوس قيصر، قد وصل إلى ذروته في روما. ووقعت بين الطرفين معركة فاصلة، هي معركة فارسالوس عام ٤٨ق.م، التي انتصر فيها قيصر. وفر بومبي إلى مصر، لكي يطلب معاونة صديقه بطلميوس الزمار، لكنه فوجئ بأن الزمار قد مات. وعندما نزل إلى الشاطئ تعرض للخيانة حيث اغتاله مرافقيه من الجنود الرومان. وفي أكتوبر عام ٤٨ق.م وصل قيصر إلى الإسكندرية في أثر عدوه، وعندما علم بموته حزن جدًا. وكان قيصر يعلم بالخلاف الواقع بين كليوباترا وأخيها فأعلن نفسه حكمًا في هذا الخلاف، تنفيذًا لوصية الزمار، التي تقضي بوضع أبناؤه تحت وصاية الرومان. فأرسل قيصر في استدعاء كليوباترا وشقيقها، وعلى الرغم من نجاح قيصر في التوفيق بين كليوباترا وبطلميوس؛ إلا أن الأوصياء على بطلميوس ساءهم هذا الصلح، فأخذوا في إثارة السكندريين ضد قيصر. وأصدروا الأوامر إلى الجيش بأن يزحف إلى الإسكندرية، فتحرج موقف قيصر الذي حوصر في الحي الملكي، واضطر إلى إحراق سفنه التي كانت ترسو في الميناء حتى لا يستولى عليها أعداؤه، وهو ما أدى إلى إحراق مكتبة الإسكندرية[١].

وهكذا بدأت تلك الحرب المعروفة بحرب الإسكندرية، وكاد قيصر أن يلقى الهزيمة لو لم تنقذه الإمدادات من حلفائه في الشرق. وقد انتهت هذه الحرب عام ٤٧ق.م بانتصار قيصر. وموت بطلميوس الثالث وحسم قيصر مسألة العرش البطلمي، بأن أعلن كليوباترا ملكة على البلاد، على أن تتزوج من شقيقها الصبي الصغير بطلميوس الرابع عشر. وقضى يوليوس قيصر الشتاء في مصر، مستمتعًا بصحبة كليوباترا، وقاما معًا برحلة نيلية إلى صعيد مصر. ولما كانت الأحوال في روما تتطلب عودة قيصر على وجه السرعة، فإنه

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٧٨-٨٠.

اضطر للرحيل. وفي صيف عام ٤٧ق.م أثمرت علاقة قيصر بكليوباترا عن إنجاب ابنًا أطلقت عليه بطلميوس قيصر. إلا أن السكندريين سخروا من هذا الاسم وأطلقوا عليه قيصرون، ومعناه قيصر الصغير. وفي العام التالي أرسل قيصر لكليوباترا لكي تلحق به، فذهبت إلى روما ومعاه بطلميوس الرابع عشر وابنها قيصرون. وقد أثارت الحفاوة التي قابل بها يوليوس قيصر كليوباترا ثائرة الرومان، فراحوا ينسجون الأقاويل حول رغبة قيصر في إقامة ملكية على الطراز الشرقي، ونقل عاصمة الرومان إلى الإسكندرية بدلًا من روما. وهو ما جعل أنصار النظام الجمهوري يقومون باغتياله في قاعة السناتو في ١٥ مارس عام ٤٤ق.م[١].

أعقب مقتل قيصر حرب أهلية في روما، انتهت هذه الحرب في عام ٤٢ق.م بانتصار أوكتافيوس وماركوس أنطونيوس، واقتسم القائدان أملاك الرومان فيما بينهما، فكانت الولايات الشرقية من نصيب ماركوس أنطونيوس والولايات الغربية من نصيب أوكتافيوس، وكانت مصر الدولة الوحيدة التي لم تدخل في فلك الولايات الرومانية. وعندما توجه أنطونيوس إلى الشرق أرسل إلى بعض القادة، لمعرفة موقفهم من الصراع بين قتلة قيصر وأنصاره، ومنهم كليوباترا. ونجحت كليوباترا في التأثير على أنطونيوس، وجذبه إلى جانبها أسيرًا لغرامها. وتعددت اللقاءات بينهما سواء في مصر أو خارجها، وأنجبت منه ثلاثة أبناء، ولدين وبنت. وفي عام ٣٥ق.م أعلن أنطونيوس طلاقه من زوجته أوكتافيا شقيقة أوكتافيوس، وأعلن شرعية علاقته بكليوباترا. وبعد ذلك أقدم أنطونيوس على خطوة لم تكن في حسبان أحد، فقد أقدم على تقسيم الولايات الشرقية بين أبناء كليوباترا. ووصفها بالملكة أم الملوك[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٨٠-٨١.

[٢] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ٨٣.

لم يسكت أوكتافيوس على أفعال أنطونيوس، وقاد حملة دعاية للتشهير به وبأفعاله، ونجح في تشويه صورته واعتباره خائن للرومان، وأخذ موافقة السناتو بشن الحرب ضده. وركز أوكتافيوس دعايته على أنه لا يحارب أنطونيوس المواطن الروماني، ولكنه يحارب كليوباترا الملكة الأجنبية. ودارت المعركة البحرية الفاصلة بينهما عند أكتيوم في غرب اليونان، في عام ٣١ق.م. وعندما لاحت في الأفق بوادر انتصار أوكتافيوس انسحبت كليوباترا إلى الإسكندرية، وتبعها أنطونيوس[١]. وقد أشاعت كليوباترا أنها ماتت، فانتحر أنطونيوس، وحاولت كليوباترا التفاوض مع أوكتافيوس عندما زحف إلى مصر، ولما أدركت أنه مصمم على أسرها، ليسوقها في موكب نصره العظيم، انتحرت عن طريق حية الكوبرا، رمز الخلود عند المصريين. ودخل أوكتافيوس الإسكندرية في الأول من أغسطس عام ٣٠ق.م، حيث قتل قيصرون على الفور، وأسر باقي أبنائها، ثم أعلن ضم مصر إلى أملاك الشعب الروماني. وبذلك سقطت دولة البطالمة، وتحولت مصر إلى ولاية رومانية[٢].

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني،٨٣-٨٤.
[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، ٢٠٣.

الفصل السابع
مصر ولاية رومانية

أولًا: دخول أوكتافيوس مصر

ثانيًا: موقفه من السكندريين

ثالثًا: مصر وتسوية ٢٧ق.م

ثالثًا: مصر ولاية رومانية متميزة

أهداف الفصل السابع

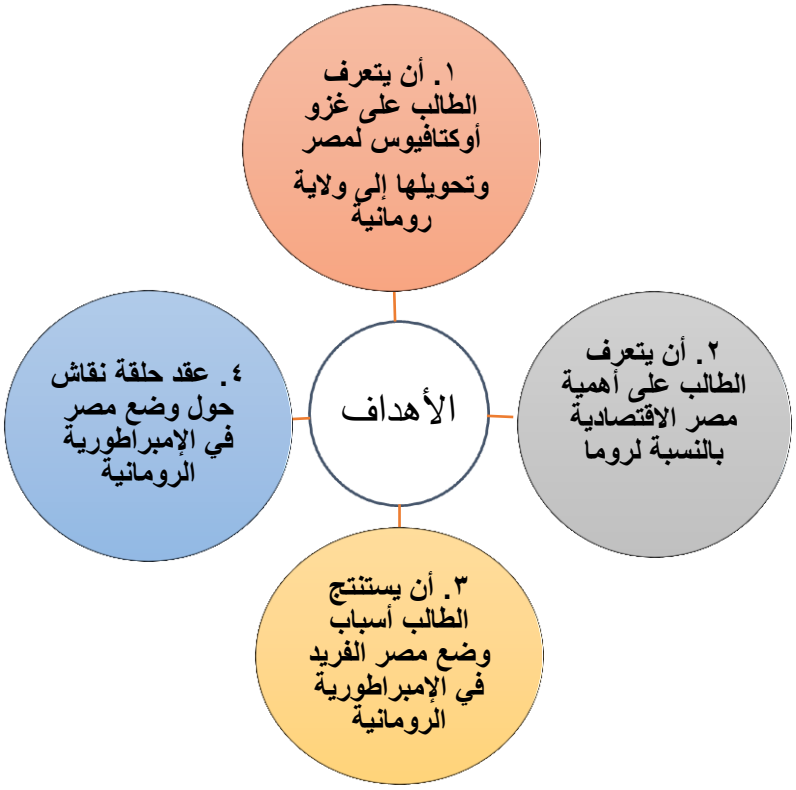

أولًا: دخول أوكتافيوس مصر

صدق السير جون هامرتون (John Hammerton) عندما وصف معركة أكتيوم (Actium) عام ٣١ق.م بأنها إحدى المعارك الفاصلة في تاريخ العالم. وعلى الرغم من أن تفاصيل المعركة لا تزال غامضة، حيث لا نعرف شيئًا عن أطوارها ولا طبيعتها ولا عن الوقت الذي استغرقته. لكن يبدو أنها كانت اشتباكًا بحريًا هزيلًا بين سفن أنطونيوس (Antonius) وكليوباترا السابعة (Cleopatra VII) من ناحية، وبين سفن أوكتافيوس (Octavius) من ناحية أخرى، وذلك بالقرب من شواطئ اليونان الغربية عند أكتيوم. ويقال عن المعركة أنها معركة بحرية لأن الجيوش البرية للجنرالين المتقاتلين لم تشتبك على الاطلاق، وعلى أية حال فقد انهار أنطونيوس على الفور قبل أن تنتهي المعركة[١].

لقد كان وضع أنطونيوس هزيلًا، وكانت قواته منهارة معنويًا بسبب ظهور كليوباترا وسطهم وتدخلها في رسم الخطط العسكرية وخنوع أنطونيوس لها مما أذهب عنه سحر القيادة. كما أن دعاية أوكتافيوس الموجهة إلى جنود أنطونيوس كانت قوية ومؤثرة، وركزت هذه الدعاية على أنهم يرفعون السلاح من أجل ملكة شرقية مكروهة بين الرومان. فضلًا عن إعلانه الصفح عن الجنود الذين يعودون إلى صوابهم ويتركون معسكر أنطونيوس وينضمون إلى قواته. هذه الدعاية كانت السبب في هروب عدد كبير من جنود أنطونيوس إلى معسكر أوكتافيوس. كما نجح أوكتافيوس في ضرب الحصار البري حول قوات أنطونيوس وقطع المؤن والإمدادات عنهم، وهو ما أدى إلى نقص في الطعام، وانتشار الوباء، وانهيار الروح المعنوية بين قوات أنطونيوس[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط٢، (القاهرة، ١٩٩١م)، ١٨.

[٢] نفسه، ١٨-١٩.

بدأ الالتحام البحري في صيف عام ٣١ق.م عند أكتيوم قرب الشاطئ الغربي لبلاد اليونان، وخلال أعنف مراحل القتال تسللت كليوباترا يتبعها الأسطول المصري عائدة إلى الإسكندرية. فقد قال الشعراء الرومان أن الملكة المصرية ولت هاربة مذعورة من هول بأس أوكتافيوس، وآخرون ذكروا أن الملكة تخلت عن أنطونيوس فجأة عندما ثبت عدم جدواه؛ لكن أغلب الظن أن مستشاريها نصحوها بعدم الاستمرار في هذه المغامرة الخاسرة. وارتكب أنطونيوس خطأً أفدح عندما ترك المعركة برمتها وانسحب في أثر مليكته تاركًا قواته بلا قائد فقدم النصر هدية إلى أوكتافيوس. وكانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ المعارك الحربية التي تحدد فيها معركة بحرية مصير بلد بعيد يقع وراء البحار على بعد آلاف الأميال، وهي مصر التي تحولت من دولة مستقلة إلى ولاية رومانية[١].

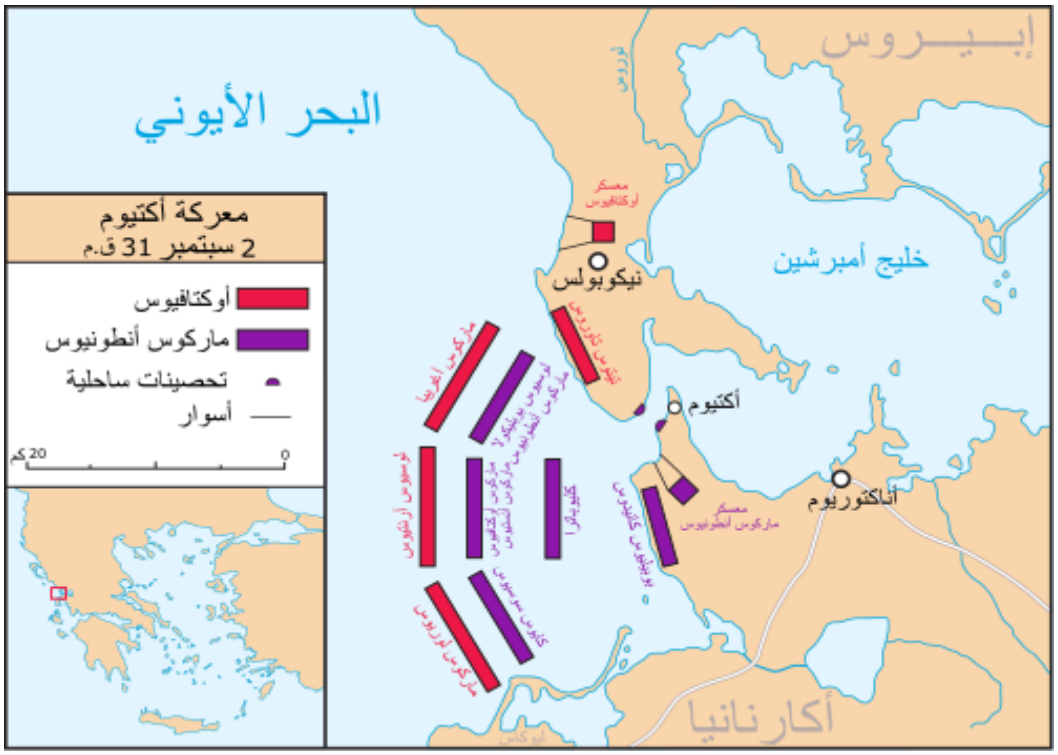

خريطة (٨) توضح موقعة أكتيوم عام ٣١ق.م[٢]

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٩.

[٢] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8%A9_%D8%A3%D9%83%D8%AA%D9%8A%D9%88%D9%85

بعد مرور عام على هذا الانتصار زحف أوكتافيوس بقواته إلى مصر ودخلت قواته مدينة الإسكندرية في الأول من أغسطس عام ٣٠ق.م، حيث استولت عليها دون مقاومة. واحترامًا للمدينة وتاريخها أمر جنوده بعدم التعرض للناس ولا لأموالهم، وألقى خطابا باللغة اليونانية أبدى فيه احترامًا وتقديرًا وزار قبر الإسكندر الأكبر وخلع عليه تاجه ووافاه ما يستحقه من التبجيل، ولما عُرض عليه زيارة قبور البطالمة رفض، وقال إنه جاء ليشاهد ملكًا لا أن يشاهد أمواتًا[١].

وأثناء احتفال أوكتافيوس بانتصاره جاءته الأنباء بأن أنطونيوس قد انتحر. وكان على كليوباترا أن تختار بين أمرين إما الموت الكريم أو أن تساق أمام عربة أوكتافيوس وتدخل روما في ثياب الذل والعار. واختارت الملكة المصرية الموت الذي يليق بملكة تنحدر من سلالة ملكية، وبطريقة تتناسب مع مظهرها كوريثة لعرش الفراعنة، وتظهرها كقديسة أمام المصريين، وربما رمزًا للمقاومة ضد الرومان. اختارت الملكة المصرية حية الكوبرا رمز التاج المصري لتموت بها كرسالة وداع للمصريين بأنها عاشت وماتت مصرية. وبموت كليوباترا آلت مصر إلى حوزة روما، وأعلن أوكتافيوس للشعب الروماني على رأس عملة تذكارية خاصة سكها احتفالًا بهذه المناسبة "أن مصر قد سقطت". وبضم مصر إلى حوزة الولايات الرومانية نجحت روما في ضم جميع أقطار البحر الأبيض المتوسط –الذي أضحى بحيرة رومانية– في بناء سياسي وحضاري واحد دام فترة تزيد عن خمسة قرون من الزمان هي التي نسميها الإمبراطورية الرومانية[٢].

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، تقديم: حسين أحمد الشيخ، (الإسكندرية، ٢٠٠٧م)، ٤١– ٤٢.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٠– ٢٢.

ثانيًا: موقف أوكتافيوس من السكندريين

عندما كان أوكتافيوس في الإسكندرية، ورغم النفاق الذي أظهره له أهلها، حيث قاموا باصطحابه لزيارة ضريح الإسكندر مثله الأعلى، في حين أنه بذكاء رفض زيارة قبور الملوك البطالمة، كنوع من عدم الاعتراف بحكمهم لمصر، وأنه ورثها مباشرة عن الإسكندر[١]. وعندما سأله السكندريون إذا كان يرغب في رؤية المعبود المصر آبيس، رد قائلًا إنه اعتاد أن يعبد آلهة حقيقيين لا مجرد حيوانات[٢]. وعلى الرغم من أنه منح أهلها الأمان، ومنع جنوده من تخريب المدينة ونهبها؛ إلا أنه عندما طلبوا منه إعادة مجلس الشورى الخاص بمدينتهم رفض ذلك متعللًا بأنه لا يدري أنه كان بالمدينة مثل ذلك المجلس، وأنه سوف يبحث الأمر. لقد كان أوكتافيوس يعرف أنه كان بالإسكندرية مثل هذا المجلس؛ إلا أنه أدرك أن هناك خطورة على الوجود الروماني من إحيائه، لأنه بؤرة الكبرياء الوطني، ومنبع الثورة[٣]. ولعلم أوكتافيوس أن السكندريين شعب ميال للشغب، وكثيرًا ما قاموا بطرد ملوكهم، لذا أراد أن يرهبهم فوضع فرقة رومانية كاملة في ضاحية النصر بالقرب من الإسكندرية[٤].

ثالثًا: مصر وتسوية ٢٧ق.م بين أوكتافيوس

لكي يظهر أوكتافيوس ديمقراطيًا زاهدًا في السلطة أمام السناتو والشعب الروماني، قسم الولايات الرومانية بينه وبين السناتو، فأعطى السناتو حق الإشراف على حكم الولايات المستكينة التي يكون في استطاعة السناتو أن يجني ثمارها بدون خوف من التمرد أو الثورة، خاصة وأنه –أي السناتو– لم يعد يملك زمام الجيوش. وبهذا المنطق منح السناتو حق

---

[١] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق والآثار، (القاهرة، ١٩٩٥م)، ١٨.

[٢] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٦١.

[٣] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ١٨.

[٤] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٦٢.

الإشراف على ولاية أفريقيا، ونوميديا (الجزائر)، وولاية آسيا، وبلاد اليونان بالإضافة إلى إبيروس الملحقة بها، ومقدونيا، وصقلية، وكريت، وبرقة (قوريني)، وبونطوس وأراضي بيثينيا الواقعة حولها، وسردينيا، وبايتيكا في جنوب إسبانيا. وعُرفت هذه الولايات باسم الولايات السناتورية. أما أوكتافيوس فقد احتفظ لنفسه بما تبقى من الولايات الرومانية ويشمل ما تبقى من إسبانيا، وكل بلاد الغال وما حولها، وبلجيكا، وألمانيا حتى حدود الراين، وفي الشرق احتفظ لنفسه بولاية سوريا الكبرى –سوريا ولبنان وفلسطين حاليًا–، وفينيقيا، وكيليكيا بآسيا الصغرى، بالإضافة إلى مصر التي جعلها ملكًا خاصًا بالإمبراطور لوضعها الفريد. وقد تحكم أوكتافيوس في هذه الولايات تحكمًا كاملًا لأنه كان يملك القيادة العسكرية العليا فيها، والخزانة الخاصة بها، لأنه فصل بين الخزانة العامة للدولة والخزانة الخاصة بولاياته[١].

ربعًا: مصر ولاية رومانية متميزة

كان وضع مصر في الإمبراطورية الرومانية ولا يزال مثار جدل بين الباحثين، ففي رأي فريق منهم أن مصر لم تكن ولاية بالمعنى المألوف؛ بل كانت إحدى ممتلكات الإمبراطور الخاصة، التي ترتبط بشخصه وتخضع له خضوعًا مباشرًا. ويستندون في ذلك أن أوكتافيوس لا يصفها في الوثيقة المشهورة باسم "أثر أنقرة" –نسبة إلى مكان العثور عليه– بأنها ولاية، في حين أنه يتحدث عن تحويل أرمينيا الكبرى إلى ولاية في الفترة التالية. وأن السجلات الرسمية المعاصرة لا تذكر اسم مصر مقرونًا بكلمة ولاية. وإنه إذا كان المؤرخ الروماني كاسيوس ديون قد ذكرها بين الولايات التي أسندت إدارتها للإمبراطور في تسوية عام ٢٧ق.م، فإنها لم تتأثر في الواقع بهذه التسوية، بل ظلت النظم التي وضعت لها عند دخولها على ما هي عليه، وهي نظم تختلف اختلافًا جوهريًا عن نظم سائر الولايات[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٤-٢٥.

[٢] عبداللطيف احمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، (القاهرة، ١٩٨٨م)، ٤٨ -٤٩.

ويرى فريق آخر أن مصر كانت ولاية رومانية مثل باقي الولايات، واستشهدوا بعبارة أوكتافيوس في الوثيقة نفسها –أثر أنقرة، التي يقول فيها "لقد ضُمت مصر إلى سلطان الشعب الروماني"، لأنها في رأيهم من البديهي أنها كانت ولاية استغلت مواردها كغيرها من الولايات لمصلحة الشعب الروماني. كما وصفها أكثر من مؤرخ قديم بأنها ولاية، واحتلها جيش روماني، وكان إيراداتها تحول إلى الخزانة المركزية في روما لكي تنفق مع الأموال الأخرى المحصلة من بقية الولايات في إطعام الشعب الروماني وسد حاجات الإمبراطورية. ويستبعد هذا الفريق أن أوكتافيوس كان يستأثر بمصر وجميع مواردها. وثمة فريق ثالث يرى أن مصر كانت ولاية غير أن الشعب فوض الإمبراطور في إدارتها باسمه وفقًا لتقاليدها الخاصة ومقتضيات ظروفها السياسية. وعليه فأن الرأي الراجح الآن أن مصر كانت ولاية رومانية؛ لكنها من طراز فريد[١].

وقد أدرك الرومان أهمية مصر الاقتصادية بالنسبة لروما، فعندما أهملت روما زراعة القمح في إيطاليا، واعتمدت اعتمادًا تامًا على استيراده من الولايات، اعتبروا أن السيطرة على مصر –أكبر بلد منتج للقمح في الإمبراطورية الرومانية– أمرًا بالغ الأهمية من الناحية السياسية. ويوضح هذه الحالة قول المؤرخ الروماني تاكيتوس "أن إيطاليا لم تصب الآن بالجدب، لكننا نفضل استغلال (شمال) افريقيا ومصر، وأصبحت حياة الشعب الروماني رهنًا بالسفن وأحداثها". ويقول المؤرخ اليهودي يوسيفيوس "مصر أقيم جزء في الإمبراطورية بسبب القمح الذي تمون به روما". وفي موضع آخر يذكر "فضلًا عن الأموال فإن مصر تمد روما بقمح يكفيها لمدة أربعة أشهر"[٢].

---

[١] عبداللطيف احمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، ٥٠–٥١.

[٢] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ١٠٩.

وعندما أدرك أوكتافيوس أهمية مصر كمستودع للقمح لا يمكن الاستغناء عنه لإطعام الشعب الروماني، وأدرك أهميتها كمورد للمال لابد منه لتدعيم الخزانة، التي نضبت من جراء الحروب الأهلية، لذلك وضع في مصر من الفرق الرومانية والقوات المساعدة أكثر مما تستلزمه حاجة الدفاع، حتى يضمن تمامًا عدم وقوعها في يد عدو من أعداء روما، قد يمنع عنها المؤنة أو يقطع عليها طريق الاتصال بالشرق. كما أدرك ميزة موقعها الاستراتيجي، لأن مصر بلد من السهل الدفاع عنه، وفي وسع من يسيطر عليها أن يصد بسهولة أي هجوم عليها، ويستقل بها ويناوئ روما منها. كما كانت مصر بلدًا كثيف السكان، اشتهر أهلها وبخاصة أهالي الإسكندرية، بالميل إلى الفوضى والشغب. لذلك حرص أغسطس أشد الحرص على تأمينها من الوقوع في يد المنافسين، فلم يجعل عليها كما في سائر الولايات واليًا من هيئة السناتو، التي لم يكن ليطمئن إليها كل الاطمئنان؛ بل أقام عليها واليًا من هيئة الفرسان، ولم يكن هذا الوالي مسئولًا أمام أحد سواه، أي أنه كان مسئولًا أمام الإمبراطور فقط[١].

وخوفًا على مصر أصدر أوكتافيوس قرارًا أسماه "سر الإمبراطورية"، يتمثل هذا القرار في تحريم دخول مصر على أفراد الأسرة الإمبراطورية، ورجال طبقة السناتو، والمشاهير أو البارزين من رجال طبقة الفرسان ومن الشخصيات العامة، دون الحصول على إذن مُسبق من الإمبراطور شخصيًا. وقيل في تفسير ذلك القانون أن الإمبراطور أدرك أن تتابع وصول كبار الشخصيات سواء من البيت الإمبراطوري أو من رجال السناتو على مصر سوف يُحدث حرجًا لنائب الإمبراطور–الوالي– لأنه في نظر هؤلاء الأكابر أدنى درجة اجتماعية منهم، وقد ينظرون إليه بازدراء عندما يكونون في ضيافته، وقد يرفضون تنفيذ الأوامر الصادرة من جانبه. غير أن السبب الرئيس لصدور هذا القرار، هو حرصه على ألا يُعطي

[١] عبداللطيف احمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، ٥٢–٥٤.

أي فرصة للعناصر المناهضة لحكمه من بقايا النظام الجمهوري، وذوي النفوذ، والطموحين، من اتخاذ مصر قاعدة للمعارضة السياسية[١].

على أية حال كانت السياسة الرومانية تدرك أهمية مصر ومشاكلها السكانية والحضارية المتنوعة، ولهذا عزلتها عن سائر الولايات الأخرى، ولم تحاول "رومنتها" بنشر اللغة اللاتينية والعمران الروماني فيها، فبقيت تتحدث اليونانية على المستوى الرسمي، بينما ظل الفلاحون في الريف يتحدثون المصرية ويكتبون بالديموطيقية، وبين هذا وذاك وجدت طبقة من المترجمين بين اللغتين يستعان بهم في الإدارات وفي المحاكم. وهكذا أرسى أوكتافيوس قواعد وقوانين حُكمت مصر بمقتضاها، وسار خلفاؤه على هداها، حتى جاء دقلديانوس وألغاها[٢].

[١] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ١٨.

[٢] نفسه، ٢٣.

الفصل الثامن

النظم الإدارية في مصر خلال العصر الروماني

(الوالي وسلطاته)

أولًا: الولي

ثانيًا: سلطات الوالي:

١. سلطة الوالي العسكرية

٢. سلطة الوالي القضائية

٣. سلطة الوالي الإدارية

٤. سلطة الوالي الدينية

أهداف الفصل الثامن

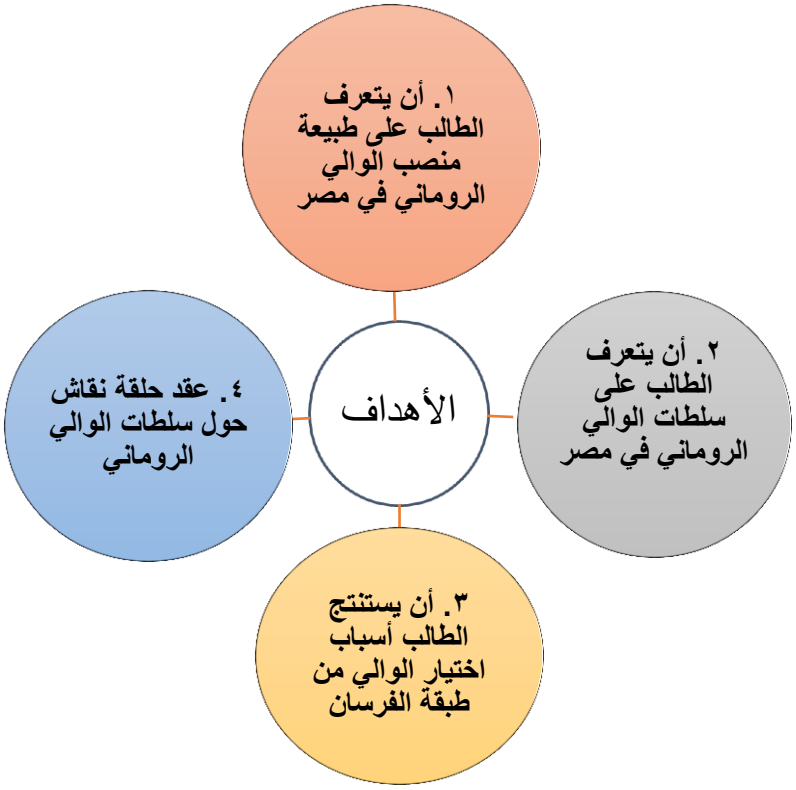

مقدمة:

ظل النظام الإداري البطلمي مستمرًا في مصر خلال العصر الروماني، بالمهام والأسماء الرسمية نفسها، مع إضافة موظفين جدد للقيام بمهام الملك البطلمي. وجاء الإمبراطور الروماني على رأس الدولة بصفته وريث الملك الفرعوني بكل ما يحيط به من مظاهر الحكم، حتى في هيئته التي نراها في تصوير الملوك الفراعنة على جدران المعابد. ويأتي على رأس الإدارة المركزية التي مقرها الإسكندرية الوالي، الذي يحمل لقب "والي مصر"، أو "والي الإسكندرية ومصر"، وتم تقسيم الولاية إلى أقاليم على رأس كل إقليم حاكم هو الإبيستراتيجوس، وانقسمت الأقاليم إلى مجموعة من المديريات يرأس كل منها حاكم يدعى الإستراتيجوس، وينوب عن الإستراتيجوس في إدارة القرية، وهي أصغر وحدة إدارية، عمدة القرية يساعده كاتب القرية[١].

أولًا: الوالي

يأتي الوالي الروماني على قمة الإدارة المدنية والعسكرية في مصر، ويستمد سلطانه من كونه ممثل الإمبراطور في الولاية، وبالنسبة لسكان مصر كان الوالي في نظرهم يحتل مركز الملك، وهي الحقيقة التي ذكرها بعض الكتاب القدامى، مثل استرابون وتاكيتوس، حين قالا إن مصر في عصر الرومان حكمها رجال لهم منزلة الملك. وكان الوالي الروماني في مصر يسلك سلك الملوك القدامى، فلم يكن يبحر في النيل زمن الفيضان، وكان يذهب مع حاشيته إلى جنوب مصر، حيث المكان الذي يعتقد أن النيل ينبع منه، ويقو بإلقاء هدايا من الذهب والفضة، طلبًا للبركة وتعبيرًا بالعرفان للنيل[٢].

---

[١] محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، ١٧٧-١٧٨، عن الإبيستراتيجوس راجع: الحسين أحمد عبد الله، الإدارة والقانون في مصر الرومانية، (دراسة لوظيفة الإبستراتيجيا)، (القاهرة، ٢٠٠٠م)

[٢] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٩٥.

وكان الأباطرة يحرصون اشد الحرص على أن لا يتولى منصب والي مصر أحد الأشخاص لفترة طويلة، حتى لا يتحول إلى مركز قوة، وكانوا يرسلون من يثقون فيهم من رجالهم لتولى هذا المنصب الحساس، فقد كان كورنيليوس جاللوس أول ولاة مصر، كان من الرجال المقربين لأوكتافيوس، كما كان أفيليوس فلاكوس صديقًا للإمبراطور تيبريوس. ومن الملاحظ أن أهمية منصب والي مصر أخذت في الانخفاض بعد أن قلت موارد مصر الاقتصادية، ولم يعد ينظر إلى والي مصر باعتباره متميزًا عن غيره من الولاة في الإمبراطورية، وتوارى الخوف من إسناد هذا المنصب إلى رجل من طبقة السناتو، وكان الإمبراطور ماكرينوس أول من أقدم على هذه الخطوة، حين قام بتعيين أحد رجال السناتو في منصب والي مصر[١].

شكل (١٧) كورنيليوس جاللوس أول ولاة مصر[٢]

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٩٦.

[٢] R. Syme, *The Origin of Cornelius Gallus*, (Cambridge, 2009).

وعند تعيين والي جديد فإنه لم يكن مسموحًا للوالي السابق بمغادرة مصر، إلا بعد وصول خليفته إلى الإسكندرية. وفي حالة خلو منصب الوالي فجأة لأسباب طارئة، يتم اختيار واحد من كبار الموظفين، الذين كانت ترسلهم روما إلى الإسكندرية لمعاونة الوالي، لكي يتولى منصب الوالي مؤقتًا، حتى يتم شغل المنصب. وكان كبار الموظفين يصدر قرار تعيينهم من روما، وعلى الرغم من أنهم كانوا تحت رئاسة الوالي؛ إلا أنه لم يكن لديه سلطة عزلهم من وظائفهم، فكان للإمبراطور فقط حق عزلهم[١].

ثانيًا: سلطات الوالي

قد أمدتنا وثيقة بردية بصورة لسلطات الوالي الروماني في مصر، وتحمل هذه البردية نصًا لمرافعة أحد المحامين ضد شخص يدعى ماكسيموس في محاكمة ربما جرت أمام الإمبراطور. وتشير المرافعة بجلاء إلى أن الشخص يشغل منصب والي مصر، وربما يكون المقصود بذلك هو الوالي فيبيوس ماكسيموس، الذي شغل منصب والي مصر فيما بين عامي (١٠٣ –١٠٧م). ويشير النص إلى السلطة التي كان يتمتع بها الوالي، فقد كانت الجماهير تصطف لتحيته كل صباح، كما كانت الالتماسات والشكاوى ترفع إليه، ويستطيع مصادرة ممتلكات الإفراد، وأن يصدر أحكام الإعدام، كما كان يرأس المحكمة. وقد اتهم الوالي فيبيوس ماكسيموس بالفساد وبإقامة علاقة شائنة مع غلام، ويبدو أن هذا الوالي قد ثبت ضده تلك الاتهامات، وأنه عزل من منصبه. وهو ما يدل عليه بوضوح إزالة اسمه من بعض النقوش التي عثر عليها فيما بعد[٢].

---

[١] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، تحت إشراف: فوزي عبد الرازق مكاوي، (القاهرة، ١٩٨٧/ ١٩٨٨م)، ٢١٣.

[٢] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ٢١١ –٢١٢.

١. السلطة العسكرية

حصل الوالي الروماني في مصر على سلطة الإمبريوم، والتي بمقتضاها تولى قيادة الجيوش الرومانية، التي كانت تعسكر في مصر[١]. ففي عهد أغسطس كانت هناك ثلاث فرق في مصر، وتسع كتائب من القوات المساعدة "الأوكسيليا"، بالإضافة إلى ثلاث وحدات من الفرسان، وقد قُسمت تلك الوحدات العسكرية على الأقاليم الثلاثة لمصر –كانت مصر تنقسم إلى ثلاثة أقاليم، هي الدلتا ومصر الوسطي ومصر العليا. وكان ولاة مصر الثلاثة الأوائل في الأصل قادة عسكريين، وكان أول هؤلاء الولاة كورنيليوس جاللوس اضطر لقيادة الجيش لإخماد ثورة طيبة وتأمين حدود مصر الجنوبية. وقاد خليفته ايليوس جاللوس حملة عسكرية على بلاد العرب، واضطر بترونيوس ثالث الولاة إلى محاربة النوبيين، وكان بترونيوس آخر الولاة الرومان الذين قادوا حملات عسكرية. وعندما اقتضت الحاجة القيام بحملات عسكرية بعد ذلك أسندت القيادة إلى أشخاص آخرين غير الولاة[٢].

ومن مهام الوالي العسكرية أنه كان يتولى بنفسه اختيار العناصر الصالحة للخدمة العسكرية في الكتائب، وكان هذا أمرًا حيويًا في البداية حيث كانت الخدمة العسكرية تؤهل المصريين للحصول على المواطنة الرومانية، بعد انتهاء مدة الخدمة في الجيش. وكان الوالي أيضًا هو الذي يمنح قرار الإعفاء من الخدمة العسكرية، أو يوافق على نقل أحد الجنود من سلاح إلى سلاح آخر. وبالإضافة إلى ذلك كان على الوالي أن يحافظ على الأمن في أرجاء الولاية، وكان يعتمد على الجيش في القيام بأعمال حفظ النظام، وخاصة في أعقاب الاضطرابات التي تحدث[٣].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٩٥.

[٢] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ٢٢٩.

[٣] نفسه، ٢٣٠.

٢. السلطة القضائية

كان الوالي الروماني في مصر، هو المتصرف الوحيد في شئون العدالة، بغض النظر عما كان في يد بعض الموظفين المركزيين من سلطات محدودة للفصل في قضايا معينة. وقد كان للولي محكمة أو مجلس قضائي، ينعقد دوريًا ثلاث مرات في السنة برئاسة الوالي، مرة في بيلوزيوم (الفرما) للنظر في قضايا أقاليم شرق الدلتا، ومرة في الإسكندرية للنظر في قضايا غرب الدلتا، ومرة في منف للنظر في قضايا أقاليم مصر الأخرى. وتيسيرًا للمشاق التي قد يتحملها المتقاضون من جراء هذا النظام، فقد جرت العادة على أن يفوض الوالي أمر الفصل في القضايا للموظفين المحليين، أو غيرهم من رجال الإدارة. أو يقوم هو نفسه بجولات تفتيشية كانت الظروف تسمح أثنائها أحيانًا بعقد المجلس القضائي لمنطقتي مصر العليا ومصر الوسطى في بعض البلاد الواقعة جنوب الدلتا. ولم تكن مهمة هذا المجلس مقصورة على النظر في القضايا، بل كانت تُفحص فيه أيضًا التقارير والحسابات المقدمة من موظفي الأقاليم[١].

٣. السلطة الإدارية

يقوم الوالي بإرسال الأوامر إلى الإبيستراتيجوس، الذي يقوم بدوره بإرسالها إلى حكام المديريات في الإقليم التابع له. وعلى حكام المديريات أن يكلفوا مرؤوسيهم بإعداد التقارير المطلوبة، وفي هذه التقارير يحيط حكام المديريات الوالي علمًا بكافة أوضاع المديرية. وكان حاكم المديرية "الإستراتيجوس" إذا كانت لديه أية شكوى فإنه يرفعها إلى الوالي. مثال ذلك الشكوى التي رفعها إستراتيجوس كوبتوس (قفط الحالية) إلى الوالي يشكو فيها من أن

---

[١] هـ. آيدرس بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: دراسة في انتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها، ترجمة: عبد اللطيف أحمد علي، (بيروت، ١٩٧٣م)، ٩٥-٩٦.

المواطنين الرومان ومواطني الإسكندرية، الذين كلفوا ببعض الأعمال في مديريته، يرفضون الخضوع لسلطته. وامتدت سلطة الوالي إلى الأفراد لتشمل ضرورة الحصول على موافقته عند مغادرة البلاد، فبالنسبة للإدارة الرومانية فإن كل فرد يعيش في مصر يعد مصدر ثروة للدولة، وبما أن الوالي هو المسئول الأول أمام الإمبراطور عن دخل الولاية، لذلك كان من الطبيعي أن يحصل الفرد الراغب في السفر إلى خارج مصر على موافقة الوالي. فقد كانت مداخل مصر ومخارجها تحت رقابة محكمة من الإدارة، لذا كاد السفر يكاد يكون مستحيلًا دون الحصول على تأشيرة الخروج، فكان على الشخص أن يقدم طلبًا إلى الوالي يعلن فيه عن رغبته في مغادرة البلاد. وكان الوالي يوقع العقوبات على هؤلاء الذين يتركون البلاد بدون الحصول على موافقة من الوالي[١].

وكان الوالي يقوم بتصريف شئون الولاية عن طريق المراسلات، فكان يتلقى تقارير مفصلة ترفع إليه، حتى يكون على بينة من كل الأحوال. فهناك تقارير عن الضرائب، والتعداد، وتسجيل الملكية، وسجلات المواليد، وتقارير عن مصادر دخل الدولة. وكان الوالي يصدر المراسيم المختلفة، وعادة ما يبدأ المرسوم بذكر اسم الوالي، ثم يأتي بعد ذلك لقبه "والي مصر"، وكانت اللغة التي تصدر بها المراسيم، هي اللغة اليونانية. كما كان من سلطات الوالي الإشراف على الضرائب، وكانت هذه تُعد المهمة الأولى للوالى، حيث كانت الضرائب المفروضة على مصر تُشكل الجزء الأساسي من كمية الغلال التي يتم شحنها إلى روما. وكذلك من سلطاته الإشراف على عملية التعداد، والخدمات الإلزامية[٢].

---

[١] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ٢١٥، ٢١٧.

[٢] نفسه، ٢١٨-٢٢٠.

٤. السلطة الدينية

بما أن الإمبراطور كان الروماني كان فرعونًا على المصريين، وبما أن الوالي هو نائب الإمبراطور، فقد كان الوالي يتمتع بمركز الفرعون أو الملك على المصريين. ولهذا كان يقع عليه واجبات الفرعون ومسئولياته الدينية إزاء المعابد المصرية. لكنه لم يتم العثور على رسم واحد لأي والي روماني على المعابد المصرية، إنما كان الذي يُصور كفرعون هو الإمبراطور وحده، إذ كان لا يُسمح للوالي أن يزيد عن حده. فعندما قام كورنيليوس جاللوس –أول والي على مصر– بعد قمعه ثورات قامت في الصعيد، بتسجيل انتصاراته مفاخرًا، على نقش عُثر عليه في جزيرة فيلة، كما سجل أيضًا أخبار انتصاراته على الهرم الأكبر، وفي جهات كثيرة أخرى، عندئذ لعب الشك برأس الإمبراطور، فاستدعاه وقدمه للمحاكمة بتهم مُلفقة، وأُدين بتهمة الخيانة العظمى وصودرت أمواله، ونُفي من البلاد[١].

وقد مارس الوالي سلطته على المعابد وممتلكاتها، فمن المعروف أن أغسطس قد صادر أملاك المعابد وحولها إلى أملاك الدولة. ففي وثيقة ترجع لعام ٧١م تقدم بعض الكهنة بشكوى من ارتفاع قيمة الإيجار الذي كان عليهم أن يدفعوه للدولة، وتهديد كاتب القرية لهم بحرمانهم من الأرض، ويستطرد الكهنة في شكواهم قائلين بأن هذه الأرض قد حولت إلى أملاك دولة بواسطة الوالي بترونيوس. كما تقدم كهنة إحدى القرى بالتماس إلى الوالي أوكتافيوس، يطلبون منه استمرار الدعم الذي كانوا يحصلون عليه تعويضًا لهم عن أراضيهم التي صودرت. وتشير الدلائل إلى أن الإشراف على المعابد كان من سلطة الوالي حتى نهاية النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، وربما حتى عهد هادريانوس، حيث أجريت بعض التعديلات الإدارية. وكان الوالي يصدر المراسيم الخاصة بالمعابد والكهنة

[١] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ٨٦.

فيأمر بمصادرة ممتلكات أحد المعابد، أو إعادة تنظيمها على أسس جديدة، كما كان الكهنة يتوجهون إليه طلبًا للإنصاف. ولا نعرف الأسباب التي بمقتضاها تقرر إلغاء إشراف الوالي على شئون المعابد وإسنادها إلى موظف يدعى كبير الكهنة، إلا أن يكون الهدف من ذلك تقليل سلطات الوالي. وعلى أية حال فإن سلطة الإشراف على المعابد لم تلبث بدورها أن أصبحت في يد مدير الحساب الخاص "الإيديوس لوجوس"[١].

شكل (١٨) الإمبراطور دوميتيانوس على البوابة الشمالية لمعبد حتحور دندرة[٢].

[١] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ٢١٦- ٢١٧.

[٢] https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Roman_Emperor_Domitian_on_the_Northern_gate_of_Temple_of_Hathor,_Dendera,_Egypt.jpg

الفصل التاسع

الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الروماني

(طبقات المجتمع)

أولًا: طبقة الرومان

ثانيًا: طبقة مواطني المدن الإغريقية

ثالثًا: اليهود

رابعًا: طبقة المصريين

أهداف الفصل التاسع

مقدمة:

بالنسبة للغالبية العظمى من سكان مصر في عصر الرومان، لم يحدث تغير جذري في حياتهم، ما بين عصر البطالمة والرومان، فليس هناك فارق يُذكر في أن يكون حاكمهم الملك البطلمي أو الإمبراطور الروماني. وقد بلغ عدد سكان مصر خلال عهد الإمبراطور نيرون حوالي ثمانية ملايين نسمة تقريبًا. لكن ينبغي أن نأخذ في الاعتبار أن هذا الرقم لم يكن ثابتًا في ضوء الظروف التي كانت تمر بها البلاد، والتي تؤدي بهذا العدد إلى الزيادة والنقصان. ويتخذ البناء الاجتماعي في مصر شكلًا هرميًا، يحتل قمته المواطنون الرومان، وهم الفئة التي طرأت على المجتمع المصري بعد الغزو الروماني لمصر، وتتكون من كبار الموظفين والجنود ورجال الأعمال والتجا، وهي فئة لم تكن كبيرة العدد مقارنة بباقي السكان، وكان أفرادها ينعمون بكافة الامتيازات. ويأتي بعد ذلك قطاع كبير من ذوي الامتيازات الأقل من الإغريق واليهود، ويأتي في قاعدة الهرم الاجتماعي باقي سكان مصر من الحرفيين والمزارعين وصغار الملاك والتجار، أي الغالبية العظمى من الشعب التي كانت تلقى معاملة جائرة من الإدارة الرومانية، ويطلق عليهم إجمالًا "المصريون"[١].

كانت توجد حدود فاصلة بين هذه الطبقات، فكان من المستحيل أن يتمكن فرد من القفز إلى الطبقة الأعلى، إلا في حالات استثنائية، وبإذن خاص من الإمبراطور شخصيًا. وكان بعض أثرياء الإسكندرية، والشخصيات البارزة في المدينة يتم مكافأتهم بمنحهم المواطنة الرومانية. ولم يكن الرومان أسخياء في منح المواطنة الرومانية، رغبة منهم في الحفاظ على الفوارق بين هذه الطبقات؛ إلا أنه في عام ٢١٢م قام الإمبراطور كاراكلا بمنح حقوق المواطنة الرومانية لكافة سكان الإمبراطورية الرومانية[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢١٨.
[٢] نفسه، ٢١٨- ٢١٩.

وكان مقياس هذا التقسيم هو ضريبة الرأس، التي فُرضت على المصريين، ولهذا فهي لا تقع على المواطنين الرومان في مصر، أو على السكندريين الذين أعفوا منها باعتبارهم طبقة متميزة وتتمتع بامتيازات خاصة. كما كان يوجد تفاوت في مقدار ضريبة الرأس، حيث يدفع المصريين أصحاب البلد الحد الأعلى منها، في حين يدفع الإغريق من سكان عواصم الأقاليم الحد الأدنى. وقد حرص الرومان على إبقاء المجتمع المصري مقسمًا تقسيمًا طبقيًا[١].

١. طبقة المواطنين الرومان:

يأتي المواطنون الرومان على قمة الهرم السكاني في مصر وكانوا نوعين هما: الرومان الأصليون، والرومان الجدد، وهم الذين اكتسبوا المواطنة الرومانية نتيجة عملهم في القوات المساعدة أو في البحرية الرومانية عددًا معينًا من السنوات، وقد أكسبت هذه المواطنة صاحبها حقوقًا مادية ملموسة على رأسها الاعفاء من ضريبة الرأس[٢]. يأتي على رأس هذه الطبقة الوالي الروماني، الذي كان يمثل الإمبراطور الذي يبعث به من روما لينفذ سياسته وتعليماته، وكان هذا الوالي ومساعدوه من الرومان يقيمون إقامة دائمة في مدينة الإسكندرية، ويباشرون أعمالهم منها. وقد كان الوالي الروماني ومساعدوه وبطانته في عزلة عن الناس[٣].

أما الفئة التي كان يتعامل معها السواد الأعظم من سكان مصر، فهم رجال الحامية الرومانية في مصر. فقد كان يوجد في مصر في عهد أغسطس ما يزيد عن ٢٢ ألفًا من الجنود، وانخفض هذا العدد في عهد خليفته تيبريوس إلى حوالي ١٦ ألفًا، ثم ما لبث بعد

---

[١] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٢٠٢.

[٢] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ١٠٨.

[٣] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ٨٥-٨٦.

ذلك أن انخفض في القرن الثاني الميلادي إلى حوالي ١١ ألفًا. وكانت هذه القوات من الفرق الرومانية، التي كان أفرادها مواطنين رومان، بالإضافة إلى القوات المساعدة التي كان أفرادها من سكان الولايات، ويتولى قيادتها ضباط رومان. وكان من حق الجندي الذي يخدم في القوات المساعدة الحصول على المواطنة الرومانية بعد انتهاء خدمته العسكرية[١].

وبالإضافة إلى الجنود كانت هناك قلة من أغنياء الرومان يأتون إلى مصر للاستمتاع بشتائها اللطيف، والاستشفاء في جوها الطيب، كما اتخذ بعض الرومان من مصر مستقرًا لهم، وكان غالبيتهم من قدامى المحاربين، إلا أن بعضهم كانوا ينحدرون من عائلات سكندرية، حصلت على المواطنة الرومانية. وتجدر الإشارة إلى أنه خلال القرن الأول الميلادي، كانت سياسة الأباطرة الرومان تقوم على السماح لسكان الولايات بالالتحاق بالخدمة العسكرية، في القوات التي تعسكر في الولايات، لذلك فأن الجنود القدامى، الذين استقروا في مصر كانوا من أصول أجنبية، ونظرًا لطول إقامتهم في مصر فقد ارتبطوا بها، وأحسوا إنها وطنهم[٢].

ويأتي في مقدمة هؤلاء الذين حصلوا على المواطنة الرومانية مواطنو مدينة الإسكندرية، وهم الذين اختصهم الرومان دون باقي سكان مصر بحق الحصول على المواطنة الرومانية مباشرة. ونتبين من احدى المراسلات بين الإمبراطور تراجانوس والكاتب بلينيوس الأصغر في حوالي عام ١٠٠م، أنه كان يتعين على أي مصري يسعى للحصول على المواطنة الرومانية أن يحصل أولًا على المواطنة السكندرية[٣]، حيث كتب بلينيوس الأصغر إلى تراجانوس: "إنني أقدم لك يا سيدي جزيل الشكري لمنحك كاتبي حربوقراط

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢١٩.

[٢] نفسه، ٢٢٠.

[٣] حسن أحمد حسن الإبياري، المواطنون الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم أنطونينوس في عام ٢١٢م، رسالة دكتوراه، (جامعة عين شمس، ١٩٩٣م)، ١٢.

المواطنة الرومانية، وقد ذكرني بعض الأفراد الذين لهم دراية أكثر مني في المجال القانوني بأنني كان يجب أن أحصل لحربوقراط على المواطنة السكندرية أولًا: لأنه مصري الأصل. لذلك فإنني أرجوكم منحه المواطنة السكندرية، حتى يمكن الاستفادة من منحتكم من الناحية القانونية.

وقد رد عليه الإمبراطور تراجانوس قائلًا:

"حيث إنني اقتفى أثر الأباطرة السابقين، فإن سياستي تقضي بعدم التهاون في منح المواطنة السكندرية، ولكن حيث أنك قد حصلت بالفعل على المواطنة الرومانية لكاتبك حربوقراط، لذا ينبغي عليك أن تخبرني عن الإقليم التابع له، حتى يمكنني أن اكتب إلى صديقي بومبيوس بلانتا والي مصر عن هذا الأمر"[١].

٢. طبقة مواطني المدن الإغريقية:

عندما استولى الرومان على مصر، وجدوا فيها ثلاث مدن إغريقية تمتعت بالاستقلال الذاتي وبعض الامتيازات المحدودة، وهذه المدن طبقًا لأقدميتها هي[٢]:

١) **نقراطيس:** (كوم جعيف– مركز إيتاي البارود– محافظة البحيرة)، تقع في غرب الدلتا بين الصحراء والوادي، وبالقرب من فرع النيل الكانوبي، وكان فراعنة الأسرة السادسة والعشرين قد خصصوها للتجار والبحارة والجنود المرتزقة من الإغريق، اعترافًا بالخدمات التي أدوها لفراعنة هذه الأسرة.

٢) **الإسكندرية:** مقر حكم الإسرة البطلمية التي حكمت مصر عقب موت الإسكندر، الذي وضع أساسها عام ٣٣١ق.م. وقد نمت هذه المدينة خلال حكم هذه الأسرة، حتى

---

[١] نفتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني (٣٠ –٢٨٤م)، ترجمة: آمال محمد محمد الروبي، مراجعة: محمد حمدي إبراهيم، (القاهرة، ١٩٩٧م)، ٢١.

[٢] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ٩٤.

أصبحت مدينة المدائن، وعروس البحر المتوسط، وأكبر موانيه ونقطة العبور والتجارة بين الشرق والغرب.

٣) **بطلمية:** (المنشاة– مركز البلينا– محافظة سوهاج)، شيدها بطلميوس الأول سوتير، قبالة مدينة أبيدوس المزار الديني المصري، حيث يوجد معبد سيتي الأول، وتقع على بعد ١٢٠كم إلى الشمال من طيبة (الأقصر). وقد سماها مؤسسها على اسمه فعُرفت باسم بطلمية. وأضاف الرومان مدينة إغريقية رابعة أثناء زيارة الإمبراطور هادريانوس إلى مصر عام ١٣٠م، وأقامها هادريانوس تكريمًا لذكرى خليله الذي غرق في هذه المنطقة، وأسماها **أنتينوبوليس** (الشيخ عبادة محافظة المنيا). وقد حرص هادريانوس على منح هذه المدينة كافة المزايا التي تتمتع بها سائر المدن الإغريقية العريقة. كما منح مواطنيها حق تنظيم أنفسهم في هيئة مغلقة عليهم، وتحت تأثير هذه المزايا هاجر إليها عدد كبير من مواطني بطلمية والمدن الإغريقية الأخرى[١].

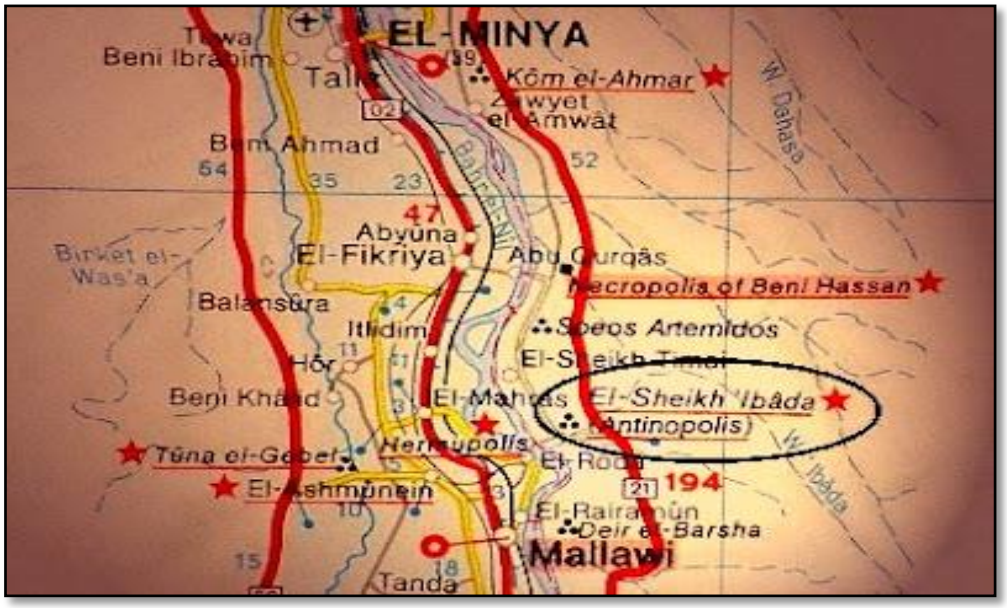

خريطة (٩) توضح موقع مدينة أنتينوبوليس[٢]

---

[١] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ٩٤– ٩٥، وللمزيد عن أنتينوبوليس شاهد الفيديو على الرابط التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=ORnaXV8xMGQ

[٢] https://antinousgaygod.blogspot.com/2013/08/violence-reported-near-antinoopolis-as.html

شكل (١٩) يوضح مدينة أنتينوبوليس[١]

وكان العنصر الرئيس الذي اشتركت فيه المدن الإغريقية الأربعة، تمثل في تسجيل مواطنيها في قبائل وأحياء، على طريقة المدن الإغريقية في بلاد اليونان في عصرها الكلاسيكي. وجاء معهد التربية "الجمنازيوم" ليمثل الخاصية الثانية المميزة لهذه المدن، والذي كان يقوم بدور معلب الرياضة، والنادي الاجتماعي، والمعهد التعليمي والمعبد في وقت واحد. كما كان لكل مدينة منها مسرح تقام فيه المباريات الرياضية. وكان من أهم مؤسسات المدن الإغريقية في مصر مجلس الشورى "البولي"، الذي ينتخبه شعب المدينة سنويًا، فقد كان يمثل كبرياءها واستقلالها الذاتي. ولقد حرمت مدينة الإسكندرية من مجلس الشورى على قرنين خلال الحكم الروماني، وهي سياسة استنها أوكتافيوس وسار على نهجها الأباطرة الرومان. وقيل إن السبب في سياسة أوكتافيوس هو رغبته في عقاب مواطني

[١] https://thelosttreasurechest.wordpress.com/2017/07/01/historical-reconstructions-series-part-iii/egypte-antinoopolis-antinoe/

الإسكندرية لموقفهم العدائي من يوليوس قيصر، ثم من أوكتافيوس نفسه بعد ذلك حيث وقفوا إلى جانب كليوباترا. وقد استمر هذا الحرمان ساري حتى عام ٢٠٠م عندما أصدر الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس قراره الشهير بمنح كافة عواصم الأقاليم بما في ذلك مدينة الإسكندرية حق تأسيس مجالس شورى. أما بالنسبة لكل من نقراطيس وبطلمية فيبدو أن أوكتافيوس سمح لهما بالاحتفاظ بمجالس الشورى الخاصة بهما، وكذلك مُنحت مدينة أنتينوبوليس حق إقامة مجلس شورى منذ بداية تأسيسها[١].

أما المزايا الاقتصادية لمواطني هذه المدن الأربعة فقد كانت كثيرة، فعلى الرغم من أن الفرص التجارية كانت متاحة لمواطنيها وقاطنيها على السواء، إلا أن مواطني الإسكندرية مثلهم مثل الرومان كانوا معفون من دفع ضريبة الرأس، والتي كانت بالنسبة لباقي السكان حملًا ماليًا ورمزًا للخضوع والخنوع. بالإضافة إلى ذلك، فقد حظر الرومان على المصريين خلال القرن الأول من الحكم الروماني الدخول في المزادات التي كانت تقيمها الدولة لبيع بعض الأراضي العامة، فقد كان شراء هذه الأراضي قاصرًا على مواطني المدن الإغريقية. كما أن السكندريين أينما كانوا يذهبون كانوا هم وأسرهم معفون من أداء الخدمات الإلزامية بكافة أنواعها، والتي كانت تُكلف من تُفرض عليه الكثير من الجهد والمال والوقت، في حين أن سكان الأقاليم كانوا ملزمين بالقيام بها. بالإضافة إلى ذلك، فقد كان لمواطني هذه المدن الإغريقية الأربع حق الالتحاق بالفرق الرومانية، وكانوا يحصلون بمجرد تسجيل أسمائهم على حقوق المواطنة. في حين كان على سائر سكان الأقاليم أن يخدموا في القوات المساعدة خمسة وعشرين عامًا لكي يحصلوا على حقوق المواطنة[٢].

---

[١] نفتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ٣٠- ٣١.

[٢] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ٩٨.

٣. اليهود:

يرجع استقرار اليهود في مصر إلى عهود قديمة، وكانت هناك جالية يهودية في جنوب مصر منذ القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وقد انتشر اليهود في سائر أرجاء مصر، وكان لهم دور ملموس في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الإسكندرية. كما شغل بعض اليهود مراكز إدارية مهمة في الإسكندرية، مثل الإسكندر لوسيماخوس شقيق الكاتب فيلون. ويعد فيلون من العلامات الثقافية البارزة في الإسكندرية خلال القرن الأول، وكان ضليعًا في الفلسفة اليونانية، وكتب أبحاثًا باللغة اليونانية، وكان يحاول شرح الديانة اليهودية لغير اليهود. وقد ذكر فيلون أن عدد اليهود في الإسكندرية يصل إلى المليون، وهو رقم يدخل في إطار المبالغات الخطابية، لأن إجمالي سكان المدينة لم يكن يصل إلى نصف هذا العدد. لكن يبدو أن عدد اليهود في الإسكندرية تزايد، فأصبحوا يشغلون اثنين أو أكثر من أحياء المدينة الخمسة، بعد أن كانوا يسكنون في السابق حيًا واحدًا، هو الحي الرابع (دلتا)[١].

شكل (٢٠) فيلون السكندري (٢٠ق.م- ٥٠م)

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢٢٣-٢٢٤، وعن فيلون السكندري وأعماله راجع: حمادة أحمد على، الفكر الديني عند فيلون السكندري، رسالة دكتوراه-غير منشورة، (جامعة المنيا، ٢٠٠٧م).

وكان اليهود منتشرين في كل أنحاء مصر في الإسكندرية، والفيوم، وإدفو وطيبة، وكانوا يمارسون أنواعًا مختلفة من النشاط الاقتصادي، فكان لهم وضع اقتصادي ملفت للنظر منذ عهد البطالمة استمر في عهد الرومان، حيث كانوا في الإسكندرية وخارجها يعملون في مختلف المهن والحرف. كما أسهموا في التجارة والصناعة مساهمة كبيرة، وكان ذلك كافيًا لأن يفرض الرومان عليهم ضريبة الرأس[١].

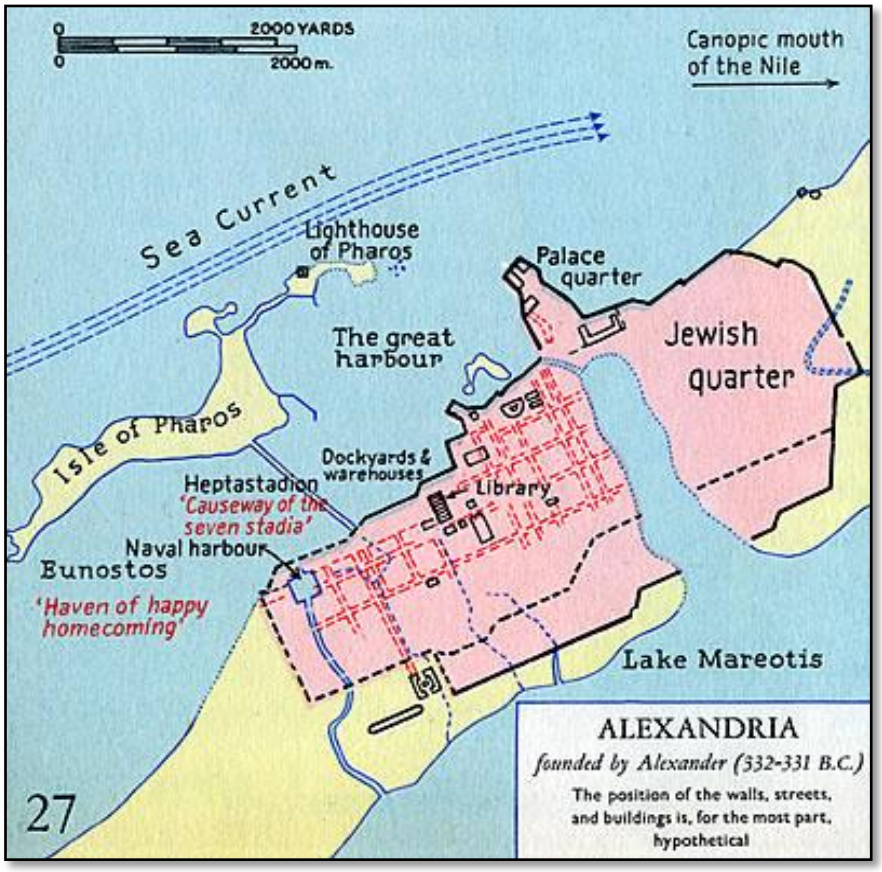

خريطة (١٠) يظهر عليها موقع حي اليهود (حي دلتا) في الإسكندرية[٢]

وقد وجد الرومان في اليهود فئة أجنبية عن البلاد يمكن استمالتها واستخدامها لصالحهم، لذلك سارع الإمبراطور أغسطس إلى الاعتراف بجميع الامتيازات والنظم التي تمتع بها اليهود في العصر البطلمي. فأقر حريتهم الدينية، وسمح لهم بالمحافظة على

---

[١] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ١١٣.

[٢] http://www.katapi.org.uk/Maps/GoogleMaps/GMv3.php?L=Alexandria

رابطتهم العنصرية (بوليتيوما)، ومجلس شيوخهم، وهو أمر اعتزوا به كل الاعتزاز، نظرًا لأن أغسطس رفض السماح للسكندريين بإقامة مجلس شورى خاص بهم. وكان وضع اليهود الممتاز وعطف الرومان عليهم، مصدر إثارة لحقد السكندريين عليهم، مما أدى إلى حدوث الكثير من الفتن والاضطرابات بين الفريقين في الإسكندرية خلال العصر الروماني[١].

٤. طبقة المصريين

فيما عدا المواطنون الرومان، والحاصلون على حقوق المواطنة الرومانية بالاكتساب، ومواطنو المدن الإغريقية، أطلق الرومان على البقية الباقية من سكان مصر مصطلح "المصريون"، على الرغم من ادعاء شطر من سكان عواصم الأقاليم المصرية أنهم ينتمون إلى سلالة الجنود الإغريق، الذين وطنهم البطالمة في أجزاء متفرقة من البلاد لأسباب اقتصادية وحضارية. وبمرور القرون انقطعت الرابطة التي كانت تربط هذه العناصر المستوطنة بأوطانها الأصلية في عالم البحر المتوسط، كما أن أغلب الجنود جاءوا بلا زوجات أو أسر، فكان من الطبيعي أن يتخذوا زوجات مصريات، وبمرور الزمن اختلطت هذه العناصر بالعناصر الوطنية المصرية، ولم يعترف الرومان بأن هذه العناصر المهجنة تنتمي إلى طبقة الإغريق المميزة كما في حال المدن الأربع؛ بل أدرجوهم تحت مصطلح "المصريون"، ومن ثم فُرضت عليهم ضريبة الرأس بدرجات متفاوتة. وقد كتب المؤرخ ليفيوس في عهد أغسطس متحسرًا على وضع المقدونيين الذين انحدر مستواهم إلى مستوى المصريين حيث يقول "أن المقدونيين قد أنزلوا إلى مرتبة المصريين"[٢].

---

[١] مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٢١٦، للمزيد عن اليهود ووضعهم في مصر خلال العصر الروماني راجع: مصطفى كمال عبدالعليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، (القاهرة، ١٩٦٨م).

[٢] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ١٠٥-١٠٦.

وقد أدى زوال التفرقة بين المصريين والإغريق إلى انعدام الفجوة بينهم، فشاع الزواج بين الطرفين خاصة في الريف، وكان الأطفال الذين يولدون من هذه الزيجات يحملون أسماء إغريقية أو مصرية. لكن الإدارة الرومانية كانت حريصة على بقاء الفوارق بين الطبقات، فوضعت قوانين العلاقة بينها، وفرضت عقوبات صارمة على من يخالف تلك القوانين، ومن الملاحظ أن هذه القوانين كانت جائرة جدًا بالنسبة للمصريين. وعندما أصدر الإمبراطور كاراكلا مرسومه الشهير في عام ٢١٢م، والذي قضى بمنح حقوق المواطنة الرومانية لكافة رعايا الإمبراطورية –فيما عدا فئة المستسلمين– فعلى الرغم مما قد يبدو للعيان من أن هذا المرسوم قد ألغى الفوارق الاجتماعية، فإنه بالنسبة للمصريين في المدن والقرى لم يكن يعني شيئًا جديدًا. كما أن حصول المصريين على المواطنة الرومانية لم يؤد إلى إعفائهم من دفع ضريبة الرأس؛ بل زادت عليهم الأعباء، فقد تقرر أن يدفعوا ضريبة جديدة، هي ضريبة الميراث التي كانت مقررة على المواطنين الرومان[١].

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢٢٥.

الفصل العاشر
النظم المالية والاقتصادية في مصر خلال العصر الروماني

أولًا: النظم المالية:

١. الضرائب

٢. جباية الضرائب

٣. الخدمات الإلزامية

ثانيًا: النظم الاقتصادية:

١. الزراعة

٢. الصناعة

٣. التجارة

أهداف الفصل العاشر

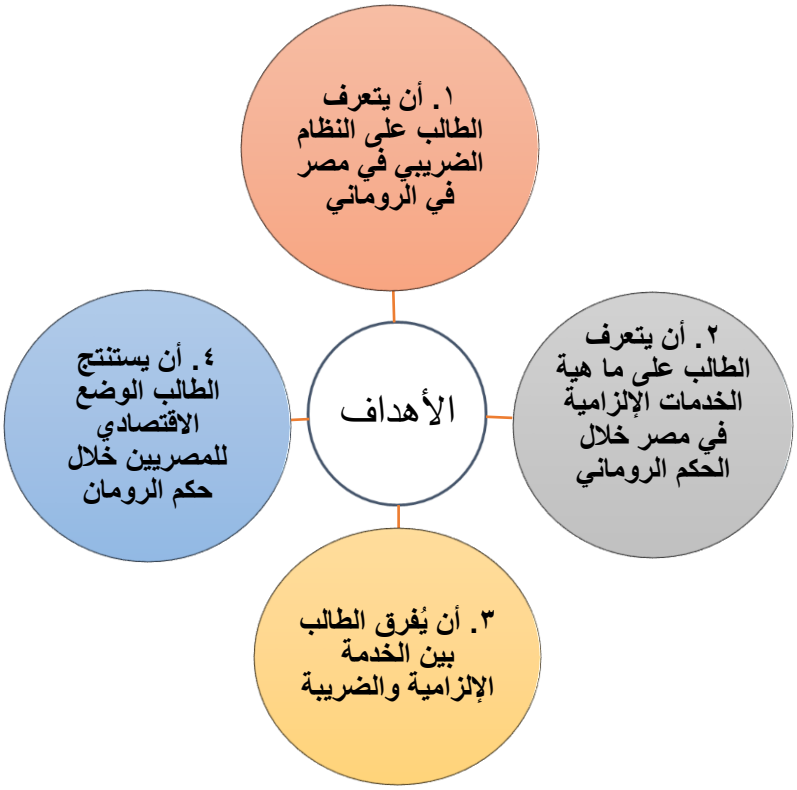

أولًا: النظم المالية

قامت سياسة الرومان المالية والاقتصادية في مصر على مبدأ أساسي، وهو الحصول على أكبر قدر ممكن من دخل هذه الولاية. وقد تطلب تحقيق هذا المبدأ القيام بجهود شاقة، من أجل إصلاح مرافق البلاد التي لحقها التدهور في السنوات الأخيرة من حكم البطالمة، فقامت الإدارة الرومانية بإجراء إصلاحات شاملة لشبكة الري، وعملت على تطهير القنوات والترع والمصارف، وإعادة بناء الجسور التي تهدمت. وقد أدت هذه الجهود إلى إنعاش الاقتصاد المصري، وكان من شأن ذلك مساعدة الإدارة الرومانية في الحصول على مستحقاتها لدى الأفراد، وهو أمر لا يتحقق إلا من خلال نظام دقيق لجباية الضرائب[١].

١. الضرائب

تمثل الضرائب المفروضة على ولاية مصر أهمية قصوى لروما، وليس أدل على ذلك من أن مصر كانت تمد روما بثلث احتياجاتها السنوية من الغلال، أي بحوالي ستة ملايين أردب كما ورد في المصادر. كما كان على سكان ولاية مصر أن يقوموا بإمداد جيش الاحتلال الروماني بحاجته من المواد الغذائية. وقد حرصت الإدارة الرومانية في مصر حرصًا بالغًا على أن تستخلص حق الدولة من الأهالي، لذا فإن النظام الضريبي في عصر الرومان لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها. وقد تنوعت الضرائب، فهناك ضرائب على الأرض الزراعية والممتلكات، وضرائب على النشاط المالي والتجاري، وضرائب على الصناعة، وضرائب على الأفراد. وقد حرصت الإدارة الرومانية على تعويض أي نقص ينجم في مقدار الضريبة، لذلك لجأت إلى فرض ضرائب مؤقتة في بعض الأحيان لتعويض النقص[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢٠٠.

[٢] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ٨٩.

وكانت هناك بعض الضرائب التي تُجبى نقدًا، والبعض الآخر يُجبى عينًا. فبالنسبة لالتزامات مصر العينية تجاه الإمبراطورية الرومانية، فمن المعروف أن مصر كانت تمد روما بثلث احتياجاتها السنوية من الغلال، كما كان يتحتم عليها إطعام جيش الاحتلال الروماني المرابط على أراضيها، وللوفاء بذلك كان على المزارع أن يدفع أردبًا عن كل أرورة –الأرورة أربعة أخماس الفدان– كضريبة عينية عن الأرض التي تزرع حبوبًا، لكن في بعض الأحيان كان المزارع يدفع أكثر من هذا القدر، في حالة الأرض العالية الخصوبة. وكانت الإدارة تحرص على عدم بقاء أي قطعة أرض دون زراعة، لأن بقاءها على هذا النحو يعني عدم جباية ضرائب عنها، لذلك فإن الأراضي التي لم يكن يتقدم أحد لاستئجارها أو أن يهرب مزارعوها، كانت الدولة تُلزم سكان القرية بزراعتها، على أن يسددوا الضرائب المستحقة عليها إجباريا، بشكل تضامني. وكانت هناك ضرائب مقررة على المحاصيل الأخرى، مثل الكروم والزيتون والفاكهة والنخيل[١].

لم تكن الحيوانات التي يملكها المزارع تسلم من تحصيل ضرائب عنها، لذلك كان ينبغي على المزارع أن يقدم تقريرًا سنويًا عن عدد الحيوانات التي بحوزته. حتى يتأكد جُباة الضرائب من عدد الحيوانات التي تولد في كل عام، ويتمكنوا من تحصيل الضرائب المستحقة عليها. وإلى جانب الضرائب التي تُجبى في مجال الزراعة والثروة الحيوانية، كانت هناك ضرائب تجبى على الأفراد، لعل أشهرها ضريبة الرأس، وكان يجب على جميع سكان مصر من الذكور الذين تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة عشر والستين أن يؤدوها؛ إلا أن بعض الفئات كانت تتمتع بحق الإعفاء من أداء هذه الضريبة، مثل الذين يتمتعون بالمواطنة الرومانية، ومواطنو مدينة الإسكندرية، وأعضاء الموسيون بالإسكندرية، وخريجي معاهد الجمنازيوم، وعدد

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢٠١-٢٠٢.

من الكهنة من ذوي المكانة الخاصة، وبعض أصحاب المهن[١]. وقد وجدت ضريبة أخرى يدفعها الأفراد، هي ضريبة الجسور، التي كان الهدف من جبايتها الانفاق على صيانة الجسور وتنظيم عمليات الري. وهناك ضريبة أخرى مقدارها دراخمتان لكل فرد، وهي ضريبة الخنازير، وكان الغرض من تحصيلها إمداد المعابد الإغريقية بالحيوانات اللازمة للأضاحي[٢].

وكانت ضرائب المهن والحرف اليدوية تأتي على رأس الضرائب التي كانت تجبى مالًا، وكانت هذه الضريبة تجبى على كل عامل –أو عاملة– يؤدي عملًا حرفيًا أو فنيًا يُدر عليه دخلًا أو مكسبًا. ويدخل تحت بنودها الصبية الذين يتعلمون الحرف أو المهن، ممن بلغت أعمارهم الرابعة عشر وما فوقها. وكانت ضريبة المهن تُجبى على أقساط شهرية، وكان يتم تحصيلها من أصحاب كل حرفة على حدة، واختلف مقدارها من فترة لأخرى. كما كان على العمال أو الحرفيين المتجولين الذين يرغبون في العمل في أية قرية أو مدينة أن يحصلوا على إذن عمل أو تصريح عمل من مُحصل الضرائب المحلي من أجل ممارسة العمل[٣].

وقد خضعت الأنشطة المالية والتجارية للضرائب، فكان يتم فرض رسوم عند تسجيل الوثائق في دار الوثائق العامة، مثل الضريبة التي كان يتم تحصيلها على عمليات البيع بواقع ١٠٪ على بيع الأملاك العقارية والعبيد، وضريبة بواقع ٢٪ على رهن الأملاك. كما فُرضت مبالغ مختلفة على حيوانات الأضاحي الدينية[٤].

---

[١] للمزيد عن ضريبة الراس راجع: محمد فهمي عبد الباقي، ضريبة الرأس في مصر الرومانية، رسالة ماجستير–غير منشورة، (جامعة القاهرة، ١٩٧٩م). وأيضًا راجع:
فتحي إبراهيم محمد محمد، فلسفة التنظيم القانوني لضريبة الرأس في مصر تحت الحكم الروماني، مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، مج٤، ع٢، (٢٠١٨م)، ١– ٢١١.

[٢] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢٠٢.

[٣] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ٣٤١– ٣٤٢.

[٤] نفتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ١٩٣.

وقد فُرضت ضرائب كان الهدف منها إمداد الجيش الروماني المرابط في مصر بحاجته من الغذاء والملابس والقود والعلف، ولم يكن مقدار هذه الضرائب محددًا، بل كان الأمر يُترك لرجال الجيش لتقدير مدى حاجتهم. كما كان على الأهالي أن يقوموا بتمويل الزيارات التي كان يقوم بها كبار الزوار الرومان لمصر، بما في ذلك زيارات الأباطرة وأفراد عائلاتهم، كما كان عليهم أيضًا تمويل الزيارات، التي كان يقوم بها الوالي وحاشيته في أرجاء البلاد[١].

٢. جباية الضرائب

سار الرومان في بداية عهدهم على نفس النظام الذي كان معمولًا به في عصر البطالمة في مجال جباية الضرائب، وهو نظام الالتزام. ثم أخذ نظام الالتزام يتوارى شيئًا فشيئًا، وأسندت الدولة مهمة جباية الضرائب إلى موظفين يتم تكليفهم للقيام بهذا العمل، بشكل إلزامي. وكان جُباة الضرائب المكلفين يلتزمون بتعويض النقص الذي ينتج في بعض الأحيان من أموالهم الخاصة؛ إلا أنه تقرر في عهد الإمبراطور تراجانوس (٩٨ –١١٧م) أن تقع مسئولية تعويض هذا النقص على كافة سكان القرية أو المدينة. وفي القرن الثاني الميلادي كان موظفو القرية يقومون بترشيح الأشخاص الذين يقع عليهم الاختيار لتولي مهمة جباية الضرائب، ويرفعون القوائم إلى الاستراتيجوس الذي يقوم باختيار الجباة من بين المرشحين. لكن مع بداية القرن الثالث الميلادي كان الجُباة يقومون بأنفسهم باختيار من يخلفهم في القيام بهذا العمل بعد انتهاء مدة تكليفهم. وكان الوالي الروماني في مصر هو الذي يُشرف على جباية الضرائب، فقد كان هذا العمل من أهم واجباته، ففي خلال الجولات الدورية التي كان يقوم بها في أقاليم مصر، كان يراجع التقارير التي يرفعها إليه حكام المديريات بصفتهم مسئولين عن الضرائب في مديرياتهم[٢].

---

(١) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢٠٣- ٢٠٤.
(٢) فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ٩٥- ٩٦.

٣. الخدمات الإلزامية

الخدمات الإلزامية هي التزامات كان ينبغي على سكان مصر أن يؤدوها للدولة، وإما أن يكون هذا الأداء معتمدًا على الجهد العضلي أو الثروة المادية. والواقع أن نظام الخدمات الإلزامية لم يكن أمرًا جديدًا ابتدعه الرومان في مصر، بل إن الإدارة الرومانية قد ورثته ضمن موروثات كثيرة من عصر البطالمة، كما أن البطالمة أنفسهم قد وجدوه في مصر التي عرفته منذ عصور سحيقة، وكان السبب في كثير من المنشآت العظيمة التي أقامها الفراعنة[١].

أدخل الرومان على نظام الخدمات الإلزامية، تعديلات جعلته يختلف عما كان معروفًا في عصر البطالمة، وذلك لكي يلائم أهدافهم. وحرصوا على منح بعض الفئات حق الإعفاء من هذه الخدمات، وهم المواطنون الرومان الذين يقيمون في مصر، ومواطنو مدينة الإسكندرية، وسكان عواصم الأقاليم من الإغريق، والفائزون في المسابقات الرياضية، وأصحاب بعض المهن مثل الأطباء، والأشخاص الذين يعولون خمسة أطفال، والمكلفون بتقديم الخدمات للجيش الروماني، كما كان يتم إعفاء باقي أفراد الأسرة إذا كان أحد أفرادها مكلفًا بإحدى الخدمات الإلزامية، كما تمتع بالإعفاء أيضًا النساء والجنود القدامى، وبعض الكهنة وكبار السن، والذين يعانون من الإعاقة البدنية، وهؤلاء كان يتم إعفاؤهم من الخدمات التي تعتمد على العمل البدني، ولكن هذا لا يمنع من تكليفهم بالأعمال التي تعتمد على الثروة[٢].

---

[١] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ٩٨ –٩٩.

[٢] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢٠٦.

ثانيًا: النظم الاقتصادية

يوجد اختلاف جذري ما بين السياسة الاقتصادية للبطالمة والرومان، فعلى حين حرص البطالمة على السيطرة على النشاط الاقتصادي، وكان الملك هو محور الحياة الاقتصادية. فإننا نجد أن الرومان حرصوا على تشجيع الاستثمارات الفردية، وكانت سياسة الإمبراطور أغسطس ترمي إلى تشجيع الطبقة الوسطى على ممارسة النشاط الاقتصادي. وكان يهدف من وراء ذلك إلى خلق طبقة قوية، تكون قادرة على مساعدة الدولة في تحمل بعض الأعباء، وقد أتت هذه السياسة ثمارها المرجوة، حينما شرعت الإدارة الرومانية في الاعتماد على نظام الخدمات الإلزامية[١].

١. الزراعة

عندما دخل أوكتافيوس مصر، وجد أنه قد ورث ضيعة مُخربة، ومن ثم عقد العزم على إصلاحها من أجل ضمان مورد دائم للقمح يُغذي به روما. لذلك لم يتردد في تكليف جنوده بالعمل جنبًا إلى جنب مع الفلاحين المصريين المُسخرين من أجل تقوية السدود، وتطهير الترع من الرمال والطمي المترسب فيها. ولكي يضمن استمرار هذا العمل أحيا نظام السخرة القديم أو نظام الخدمة المدنية الإلزامية الذي ابتكره الفراعنة. وأصبح إلزامًا على كل فلاح قوي البنية أن يقوم بإصلاح وفلاحة مساحة من الأرض تُفرض عليه وعلى عبيده إن كان له عبيد، وأن يُنفذ حصة محددة من العمل غير مدفوع الأجر في تطهير شبكة الري وتقوية السدود. وكان متوسط المدة المحددة للعمل بالسخرة خمسة أيام كل عام قابلة للزيادة في حالة الضرورة القصوى. وكان لا يجوز لأحد من الأهالي أن يرفض القيام بهذا العمل، أو يتهرب منه تحت أي عذر من الأعذار، أو يعرض بدلًا ماليًا مقابل إعفائه منه[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢٠٨.

[٢] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ٢٤٦- ٢٤٧.

وقد فرض نظام الري في مصر استخدام آلات لرفع المياه، ولعل أقدم هذه الآلات هي الشادوف الذي عرفه المصري القديم في العصر الفرعوني، وتم استخدامه على نطاق خلال العصر الروماني. وهناك أيضًا الساقية، وقد عثر على كثير من بقايا السواقي استخدمت في مصر كتأثير مصري من عصر البطالمة، وكانت الساقية أكثر تأثيرًا من الشادوف. وأخيرًا انتشر الاختراع الذي اخترعه أرشيميدس عالم الرياضيات المشهور، وهو الطنبور[١]. وعندما زار ديودوروس الصقلي مصر في آواخر عصر البطالمة، وجد استخدام الطنبور منتشرًا في مناطق الدلتا. ويصف استرابون كيف أن مياه النيل كانت تنقل إلى معسكر الجيش الروماني الكبير الواقع قبالة منف عن طريق عدد من الطنابير والسواقي، التي يقوم بتشغيلها مائة وخمسون سجينًا من سجناء المعسكر الروماني[٢].

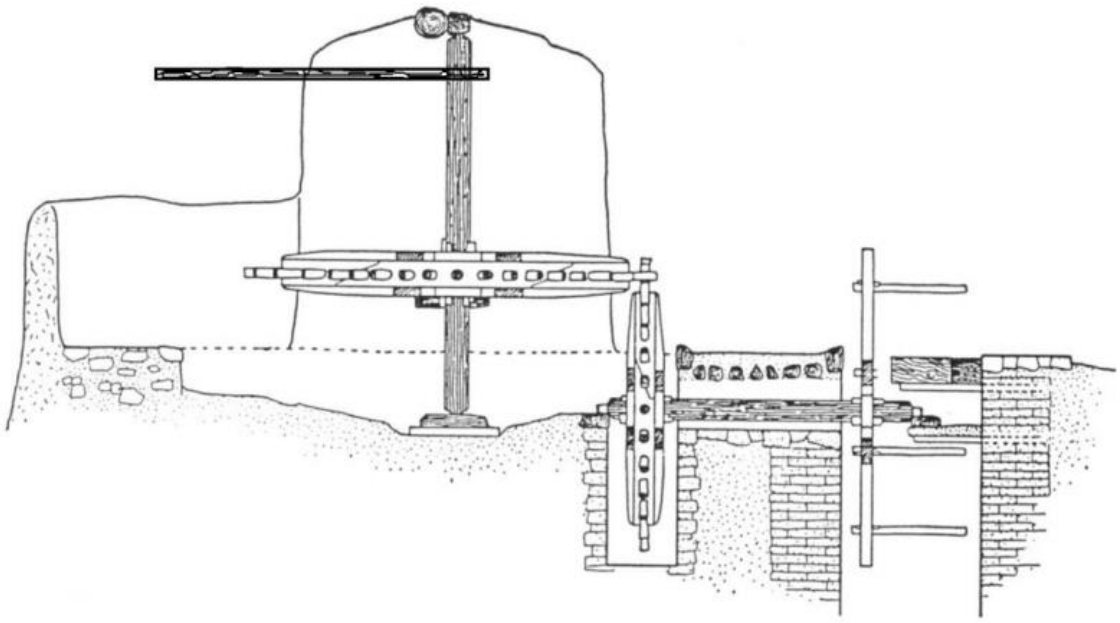

شكل (٢١) رسم تخطيطي للساقية[٣]

[١] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ٦١.

[٢] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ٢٤٩.

[٣] نقلًا عن: أحمد محروس إسماعيل، الميخانايوس في مصر خلال العصر الروماني، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم (الإنسانيات والعلوم الاجتماعية)، (٢٠٢٠م)، ١١.

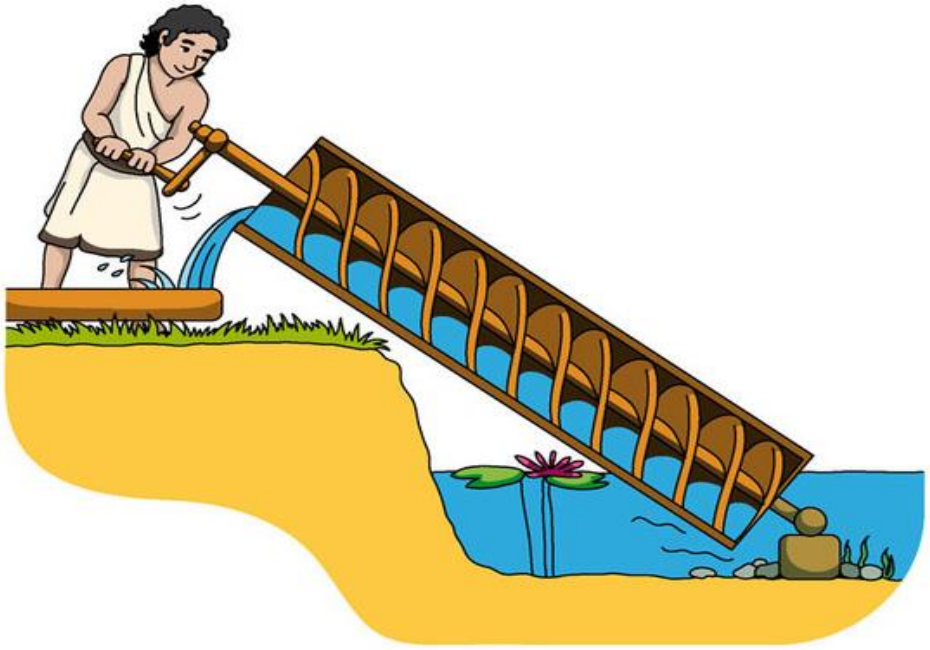

شكل (٢٢) شكل توضيحي لطنبور أرشيميدس[١]

وكان العمل الزراعي يعتمد في مصر خلال العصر الروماني على جهد الفلاح العضلي فضلًا عما تقدمه له حيواناته المستأنسة من معونة. وعلى الرغم من أن الفلاح كان يقوم بكل الأعمال المتصلة بالحقل دون تخصص؛ إلا أن هذا لم يمنع وجود بعض أصحاب الخبرة المتميزة في أعمال لا يستطيع غيرهم أن يقوم بها بنفس كفاءتهم، مثل من يقومون بتقليم الكروم. والملاحظ أنه لم تكن الحاجة مُلحة إلى استخدام العبيد بصورة عامة في العمل الزراعي، فقد توفرت الأيدي العاملة الرخيصة بالنسبة للإقطاعات الكبيرة، كام تم التعاون بين الأفراد بالنسبة للمساحات الصغيرة، وغالبًا كان يلجأ الفرد لتأجير بعض أجزاء من أملاكه إذا كانت هذه الأملاك تقع متناثرة في أكثر من مكان، فكان في الغالب يقوم بزراعة القطع القريبة من قريته ويؤجر الباقي، وكان الإيجار إما إيجار نقدي أو إيجار عيني كتحديد كمية أو نسبة من المحصول[٢].

---

[١] https://sites.google.com/a/skburana.ac.th/mathskn/xar-khi-midi-s-archimedes?tmpl=%2Fsystem%2Fapp%2Ftemplates%2Fprint%2F&showPrintDialog=1

[٢] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ٦٣.

أما عن المحاصيل الزراعية، فلم يكن الفلاح المصري منتجًا للحبوب الغذائية وحدها، إنما كان ينتج أنواعًا مختلفة من الفاكهة والخضروات، فقد كانت هناك بساتين الكروم والزيتون والنخيل. وقد عرف المصريون القدماء زراعة الكروم وعصره وتخميره منذ العصر الفرعوني، كما دخل النبيذ الشعائر الدينية المصرية في إراقته على موائد القرابين، وتقديم عناقيد العنب كقرابين للآلهة المصرية خاصة أوزيريس. أما الزيتون فكان أغلب ما ينتج منه يستخدم في الحصول على الزيت؛ إلا أن جزءًا منه كان يؤكل طازجًا أو مملحًا. ومن المحاصيل الزيتية التي تلي الزيتون في الأهمية وزُرعت في مصر على نطاق واسع، الكتان والقرطم والسمسم. ومن المحاصيل البستانية التي تردد ذكرها في الوثائق: الخوخ، والليمون، والتفاح، والشمام، والخروب، وتين الصيف، وتين الشتاء، والرمان، والكمثرى، والجميز، والنبق. أما المحاصيل البقولية فيأتي على رأسها: الفول البلدي، والعدس، والحمص، والقثاء. كما عرفوا أيضًا البصل، والثوم، والخس، وعرفوا كذلك الكتان، والبرسيم، والذرة، ونبات البردي الذي أدى دورًا حيويًا في حياة المصريين، وكان يُصدر إلى كافة أنحاء العالم المتحضر ويُستهلك الباقي محليًا[١].

واعتمد الفلاح المصري القديم على الماشية في كثير من الزراعة كجر المحراث ودفن البذور ودرس القمح، كما استخدم روثها في تسميد الأرض، واستخدمها أيضًا كمصدر للغذاء كاللبن ومشتقاته واللحوم. كذلك استخدم الحمار في النقل والمواصلات وحمل الأثقال، ولا ينافسه في ذلك إلا الجمل، الذي دخل إلى مصر مع مجيء الفرس إليها في أواخر القرن السادس قبل الميلاد. فقد كانت هذه الحيوانات تحمل أدوات الزراعة وآلاتها بالإضافة إلى السباخ وأجولة التقاوي والمحصول، وجرار النبيذ وزيت الزيتون. لذلك كان الحمار سلعة مطلوبة شغلت حيزًا في عقود البيع، خاصة في القرن الثاني الميلادي[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ٢٦٣- ٢٦٦.

[٢] نفسه، ٢٦٨-٢٧١، وعن دواب النقل راجع=

كما تم استخدام الثور في إدارة السواقي، فقد ظهر الثور مصورًا وهو يجر المحراث ويدير الساقية أو ينقل مواد البناء. فضلًا عن استخدام الثيران والأبقار كأضاحي في المناسبات الدينية الكبرى، وفي الأعياد الإمبراطورية، وفي ولائم الأثرياء. كذلك تم استخدام الأغنام والماعز والخنازير في دفن البذور في التربة عندما تدوس عليها، كما استخدمت في فصل القمح عن سنابله –درس القمح. أما عن الطيور فوجدت الدواجن والأوز والحمام بوفرة، وكان الأوز من الأغذية المفضلة عند قدماء المصريين، وظهرت ممارسة تربية وتسمين الطيور في أوراق البردي التي ترجع إلى العصر الروماني، كما بينت الحفائر وجود عدد كبير من أبراج الحمام مما يدل على إنها كانت إحدى المشروعات التجارية. وفضلًا عن استخدام كل أنواع الطيور في الغذاء، كانت بقاياها تشكل نوعًا من الأسمدة العضوية ذات قيمة عالية. وكانت هناك بعض العقود الخاصة بإيجار مزارع الكروم تنص على أن يكون التسميد من بقايا الحمام (زبل الحمام) بالتحديد[١].

٢. الصناعة

لم يتبع الرومان سياسة الاحتكار التي اتبعها البطالمة في مجال الصناعة، بل تركوا أمر الصناعة في أيدي الأفراد؛ لكنهم حرصوا على إبقاء الصناعات الأساسية خاضعة لسيطرة الدولة، مثل الإشراف على المناجم والمحاجر، كما تدخلت الدولة بشكل جزئي في بعض

=عبد اللطيف فايز علي، النقل والمواصلات في مصر في العصر اليوناني–الروماني، (القاهرة، ٢٠١٣م)، وعن عقود بيع الحيوانات راجع: سمر مصطفى مصطفى أحمد، عقود البيع في مصر في العصر الروماني المبكر (٣٠ق.م– ٢٨٤م) دراسة في البرديات اليونانية (عقود: المباني –العبيد –الحيوانات)، رسالة ماجستير، غير منشورة، (جامعة الإسكندرية، ٢٠١٣م)، ١٤٥ –١٦٩.

[١] فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، ٧٣– ٧٥، وللمزيد عن الحيوانات والطيور المستأنسة في مصر خلال العصر الروماني راجع: هالة حامد محمد السطيحة، الحيوانات والطيور المستأنسة في مصر في العصرين البطلمي والروماني، رسالة دكتوراه، غير منشورة، (جامعة طنطا، ١٩٩٥م)

الصناعات، مثل صناعة النسيج والبردي والجعة والطوب. وقد كانت مدينة الإسكندرية خلال العصر الروماني مركزًا مهمًا لصناعة الزجاج والبردي والنسيج، ويرجع تاريخ صناعة الزجاج في مصر إلى عصر الفراعنة. أما صناعة ورق البردي فهي صناعة مصرية خالصة، انفردت بها مصر دون سائر بلدان العالم القديم. ثم تأتي بعد ذلك صناعة النسيج التي تحظى بانتشار واسع في مصر، وقامت هذه الصناعة على الإنتاج المنزلي، إلى جانب المصانع التي تقوم بإنتاج أنواع راقية من النسيج، ويبدو أن الدولة كانت تشرف على هذه الصناعة، وقد فرضت الدولة على النساجين وعلى المصانع دفع ضرائب نقدية وعينية. وإلى جانب الصناعات الأساسية عرفت مصر صناعات أخرى، مثل صناعة العطور والمستحضرات الطبية، وكذلك الأدوات الموسيقية والخمور والفخار[١].

٣. التجارة

تقاطر على الإسكندرية من جميع أرجاء المعمورة، من الإغريق والإيطاليين والسوريين ومن آسيا الصغرى، وكذلك الأثيوبيين والعرب والفرس. وسيطر السكندريون على تجارة البحر الأحمر والشرق. وبعد اكتشاف الرياح الموسمية على يد هيبالوس في القرن الأول قبل الميلاد، ازدادت التجارة بشكل واضح. وقبل عهد أغسطس لم تكن تُبحر إلى المياه الشرقية أكثر من عشرين سفينة؛ لكن بعد ذلك ازدادت التجارة حتى أن الأساطيل الكبرى أصبحت قادرة على جلب التجارة من الهند وأقاصر أثيوبيا. لكن لأن دوام الحال من المحال، فقد تأثرت الصناعة والتجارة بالأحوال السياسية التي شهدتها مصر والإمبراطورية الرومانية، وتدهورت النظم الاقتصادية في القرن الثالث الميلادي[٢].

---

[١] أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ٢١٤- ٢١٥.

[٢] نفسه، ٢١٦.

قائمة المراجع

أولًا: المراجع العربية والمترجمة:

- إبراهيم نصحي، إنشاء قوريني وشقيقاتها، (بيروت، ١٩٧٠م).
- ـــــــــــ، تاريخ مصر في عصر البطالمة، جـ١، ط٤، (القاهرة، ١٩٧٦م).
- أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، (القاهرة، ٢٠٠٢م).
- أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، تقديم: حسين أحمد الشيخ، (الإسكندرية، ٢٠٠٧م).
- أحمد محروس إسماعيل، الميخاناريوس في مصر خلال العصر الروماني، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم (الإنسانيات والعلوم الاجتماعية)، (٢٠٢٠م)
- آلان ك. بومان، مصر ما بعد الفراعنة: من الإسكندر إلى الفتح العربي، ترجمة: السيد جاد، السيد رشدي، رضا رسلان، (الإسكندرية، ٢٠١٣م).
- حسن أحمد حسن الإبياري، المواطنون الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم أنطونينوس في عام ٢١٢م، رسالة دكتوراه، (جامعة عين شمس، ١٩٩٣م).
- الحسين أحمد عبد الله، الإدارة والقانون في مصر الرومانية، (دراسة لوظيفة الإبستراتيجيا)، (القاهرة، ٢٠٠٠م).
- حسين الشيخ، العصر الهللينستي: مصر، (الإسكندرية، ١٩٩٣م).
- حمادة أحمد على، الفكر الديني عند فيلون السكندري، رسالة دكتوراه–غير منشورة، (جامعة المنيا، ٢٠٠٧م).
- رضا عبد الجواد رسلان، الخنازير في مصر البطلمية والرومانية في ضوء الوثائق البردية، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع ٢١، (١٩٩٧م)، ٢٩١– ٣١٨.

- سمر مصطفى مصطفى أحمد، عقود البيع في مصر في العصر الروماني المبكر (٣٠ق.م- ٢٨٤م) دراسة في البرديات اليونانية (عقود: المباني -العبيد - الحيوانات)، رسالة ماجستير، غير منشورة، (جامعة الإسكندرية، ٢٠١٣م)
- سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق والآثار، (القاهرة، ١٩٩٥م).
- ـــــــــــــ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط٢، (القاهرة، ١٩٩١م).
- ـــــــــــــ، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللينستي، (القاهرة، ١٩٩٢م).
- عبد اللطيف فايز علي، النقل والمواصلات في مصر في العصر اليوناني-الروماني، (القاهرة، ٢٠١٣م).
- عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، (القاهرة، ١٩٨٨م)
- على بشير مصباح الهدار، مدينة الإسكندرية في عهد الإسكندر الأكبر وخلفائه وعلاقتها بكوريني الليبية، رسالة ماجستير- غير منشورة (جامعة المرقب، ٢٠٠٨م).
- فادية محمد أبوبكر، دراسات في العصر الهللينستي، (الإسكندرية، ١٩٩٨م).
- فتحي إبراهيم محمد محمد، فلسفة التنظيم القانوني لضريبة الرأس في مصر تحت الحكم الروماني، مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، مج٤، ع٢، (٢٠١٨م)، ١-٢١١.
- فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان (محاضرات لطلاب الجامعة)، تحت إشراف: فوزي عبد الرازق مكاوي، (القاهرة، ١٩٨٧/ ١٩٨٨م).
- مجدي تراب، خريطة جيومورفولوجية قديمة لساحل منطقة الإسكندرية باستخدام دلائل الآثار الغارقة، المجلة المصرية للتغير البيئي، مج٧، ع٢، (٢٠١٥م).

- محمد السيد محمد عبد الغني، جوانب من الحياة في مصر في العصرين اليوناني والروماني في ضوء الوثائق البردية، (الإسكندرية، ٢٠٠١).
- محمد فهمي عبد الباقي، ضريبة الرأس في مصر الرومانية، رسالة ماجستير-غير منشورة، (جامعة القاهرة، ١٩٧٩م).
- محمد محمد علي إبراهيم، ملامح من تاريخ وحضارة مصر في العصرين اليوناني والروماني، (الإسكندرية، ٢٠١١م).
- محمود إبراهيم السعدني، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، (القاهرة، ٢٠٠٠).
- مصطفى العبادي، الامبراطورية الرومانية النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، (الإسكندرية، ١٩٩٩).
- ـــــــــــــ، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، (القاهرة، ١٩٩٩م).
- مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، (القاهرة، ١٩٦٨م).
- منيرة الهمشري، دبلوماسية البطالمة في القرنين الثاني والأول ق.م، (القاهرة، ١٩٩٨م).
- نفتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني (٣٠ -٢٨٤م)، ترجمة: آمال محمد محمد الروبي، مراجعة: محمد حمدي إبراهيم، (القاهرة، ١٩٩٧م).
- هـ. آيدرس بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: دراسة في انتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها، ترجمة: عبد اللطيف أحمد علي، (بيروت، ١٩٧٣م)
- هالة حامد محمد السطيحة، الحيوانات والطيور المستأنسة في مصر في العصرين البطلمي والروماني، رسالة دكتوراه، غير منشورة، (جامعة طنطا، ١٩٩٥م).
- و. و. تاون، الإسكندر الأكبر قصته وتاريخه، ترجمة: زكي علي، (القاهرة ١٩٦٣م).

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

- **McKenzie, J.,** *The Architecture of Alexandria and Egypt, C. 300 B.C. to A.D. 700*, (New Haven, 2007).
- **Syme, R.,** *The Origin of Cornelius Gallus*, (Cambridge, 2009).
- **Imrie, A.,** *The Antonine Constitution: An Edict for the Caracallan Empire*, (Leiden, 2018).

ثالثًا: مواقع إلكترونية:

- https://www.worldhistory.org/Battle_of_Issus/
- https://www.pinterest.com/pin/572520171361473502/
- https://thedeskofmichael.wordpress.com/2017/02/17/pharaoh-triumphant/
- https://www.cngcoins.com/Coin.aspx?CoinID=162373
- http://www.wildwinds.com/coins/greece/egypt/ptolemy_I/
- https://en.wikipedia.org/wiki/Battle_of_Ipsus
- https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Ptolemaic-Empire-300BC.png
- https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B4%D8%A7%D8%A9%D8%8C_%D8%B3%D9%88%D9%87%D8%A7%D8%AC
- https://assassinscreed.fandom.com/wiki/Mouseion_of_Alexandria
- http://www.hellenicaworld.com/Greece/Person/en/PtolemyIVPhilopator.html
- https://alchetron.com/Battle-of-Raphia
- https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Ptolemaic-Empire_200bc.jpg
- https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Popilius_envoy%C3%A9_en_ambassade_aupr%C3%A8s_d%27Antiochus_Epiphane_pour_arr%C3%AAter_le_cours_de_ses_ravages_en_Egypte.jpg
- https://www.pinterest.com.au/pin/510454939005805494/
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8%A9_%D8%A3%D9%83%D8%AA%D9%8A%D9%88%D9%85
- https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Roman_Emperor_Domitian_on_the_Northern_gate_of_Temple_of_Hathor,_Dendera,_Egypt.jpg
- https://www.youtube.com/watch?v=ORnaXV8xMGQ
- https://antinousgaygod.blogspot.com/2013/08/violence-reported-near-antinoopolis-as.html

- https://thelosttreasurechest.wordpress.com/2017/07/01/historical-reconstructions-series-part-iii/egypte-antinoopolis-antinoe/
- http://www.katapi.org.uk/Maps/GoogleMaps/GMv3.php?L=Alexandria
- https://sites.google.com/a/skburana.ac.th/mathskn/xar-khi-midi-s-archimedes?tmpl=%2Fsystem%2Fapp%2Ftemplates%2Fprint%2F&showPrintDialog=1